

# التميز العنصري ومكافئته



ARCHIVE

والحقوق // لكن ترى ماذا حدث بعد هذا العام الدولي الذي قررتته الامم المتحدة ليكون عاما تتعالى فيه الاصوات ، وتدبج المقالات ، وتقرأ الاناشيد والاشعار بكاء على حقوق الانسان الضائعة ، ونداء الى رد هذه الحقوق الى اصحابها الاصليين ؟ ومن سخریات القدر ان تكون الامم القوية بين هذه الامم الباكية حقوق الانسان ، والمنادية مع المتادين الى رد هذه الحقوق الى اهلها . ان الذي حدث بعد هذا العام الدولي وخلالله ، ان الامم القوية ندبت حقوق الانسان مع الناديين ، لكنها في نفس الوقت اكلت هذه الحقوق ، واضطهدت اصحابها وعملت ما وسعها العمل على دعم انتهاك الحقوق بين الدول الضعيفة ، والامم المغلوبة على امرها .

ماذا عملت الامم المتحدة لحقوق عرب فلسطين ، وماذا عملت لحقوق شعب جنوب افريقيا وشعب روديسيا وغيرها من شعوب العالم المضطهدة ؟ ان دموع التماسيح التي سالت من عيون الامم القوية بكاء على الحقوق الضائعة ، تحولت الى اسلحة فتاكة ، ومعدات مخربة ، واموال سائلة وغير سائلة لدعم

وعلى غرار عام ١٩٦٨ عاما دوليا لحقوق الانسان قررت الامم المتحدة ان يكون عام ١٩٧١ عاما دوليا لمكافحة التمييز العنصري . فالامم المتحدة تقرر ، وتدعو الدول الاعضاء الى تنفيذ قراراتها ، والقرارات التي يوافق عليها الاعضاء لا تنعدي الكلام والكتابة ، واذا تعذنها الى العمل اصطدمت بالواقع المر الذي نعيشه الامم المتحدة ، والواقع المر الذي نعيشه الامم المتحدة ، كما يعرفه العالم ، هو واقع سيطرة الامم القوية على الامم الضعيفة ، والقوة هي التي تفرض سيطرتها دائما وابدا في هذه الحياة ، ولولا ذلك لما بعث الانبياء ، وجاء المرسلون ، وقام المصلحون ، ليصلحوا امور الناس ويحدوا من تسلط القوي على الضعيف ، ويضعوا الاسس والنظم التي تقوم على العدل والحق وتتميز بالمثل العليا التي يجب ان تسود الناس ، والخلق الرفيع الذي يجب ان يحل به الانسان .

ومنذ ان اطل عام ١٩٦٨ ، وحتى اخفى ، والكلام يتكرر ويعداد على اسماع الناس ، داعيا الى رد الحقوق الى اصحابها ، والابحاث والمقالات والقصائد تنشر ويقراها الناس ، وكلها تدعو الى الاشادة بحقوق الانسان ، وتنادي الى احترام هذه

فهي عن طريق القوة تنفذ قراراتها ، وتضغط على الامم المستضفة ، للموافقة على هذه القرارات ، وعن طريق الارهاب والتهديد ، تضع القوانين التي تناسب واطباعها ، ولا تستطيع الامم الضعيفة ان تقف امام هذه القوانين الجائرة ، بل ان الامم القوية تستقطب ، اكثر الامم الضعيفة عن طريق القوة ، والارهاب والتهديد طورا ، وطورا عن طريق الاغراء والترغيب ، لتمشي في ركابها ، وتوافق على مقرراتها ، وتؤيدها في مطامعها واغراضها ضد حقوق الانسان ، وتأييدا للفرقة العنصرية .

ولعل اكبر جريمة ارتكبتها الامم المتحدة بتأييد اعضائها ، تحت الارهاب والتهديد تارة وتحت الترغيب والاغراء تارة اخرى من قبل الامم القوية المستبدة ، هي انشاء دولة للصهيونية العالمية ، على ارض فلسطين العربية ، وهي جريمة ، كبرى دشنت فيها الامم القوية المستبدة عام ١٩٤٧ هينة الامم المتحدة ، فالامم القوية قررت ، والامم الضعيفة وافقت على القرار ، والفريق في الامر ان هناك من لا يزال يعتقد ان تلك الامم القوية التي قامت على الظلم ، تشارك في الاحتفالات الانسانية التي تدعو اليها الامم المتحدة ، ان العمل لم اقتطاع جزء من الارض العربية ، وتشريد اهلها العرب ، وانشاء دولة لاسرائيل عليها ، بعد طرد سكانها بقوة السلاح ، لشئ يدعو الى الياس والاسى ، لانه اكبر عمل تقوم به الهيئة الدولية ، بعد انشائها ، وتدشن عمل اول عمل من اعمالها المدمرة ، ويحيى هذا العمل على رؤوس العرب ، وفي صميم كيانهم ، لذلك لان هذا القرار لم يحم مضى الصفة ، وانما خطط له ، ودرس بعناية ، ووضعت رسومه منذ عشرات السنين ، وبنته الامم القوية المستبدة المستعمرة لسحق اسفين في جسم الامة العربية الذي يشكل حاجزا مائعا قويا بين اوروبا ، وكل من افريقيا واسيا ، لهذا جاء هذا القرار مدروسا ومهيأ امام الامم المتحدة التي اقرته بالترغيب والترهيب .

ان هذا العام ١٩٧١ الذي اقره مؤتمر طهران الدولي الذي عقد خصيصا للاحتفال بحقوق الانسان عام ١٩٦٨ ليكون عاما دوليا لمكافحة التمييز العنصري ، نشاهد فيه الامم القوية تؤيد وتدعم الدول العنصرية التي اقابتها ، تؤيدها بكل صلافة وعنجهية ، فكاتبها تقول للعالم ، بان مكافحة التمييز العنصري تكون على هذا الشكل ، في عرف الامم القوية - والا ما بال دولة قوية كبرى مثل الولايات المتحدة الامريكية ، تقدم كل عون عسكري وسياسي ومالي ، لاسرائيل ، وهي دولة عنصرية عاتية ، في عام دولي تدعو فيه الامم المتحدة دول العالم للاحتفال به ، والدعوة الى مكافحة التمييز العنصري ومحاربته ؟ فهل هذه هي محاربة التمييز

الاجتصاب الصهيوني في فلسطين ، ودعم الرجل الابيض المتعدي في كل من جنوب افريقيا و «روديسيا» ضد اصحاب الحقوق في فلسطين وضد الرجل الاسود في «روديسيا» وجنوب افريقيا . اجل هكذا تحول عام ١٩٦٨ عاما دوليا لحقوق الانسان ، وهكذا عملت الامم القوية المستبدة على الاحتفال بحقوق الانسان ، وتلك هي طبيعة البشر ، فما بالك اذا كان هؤلاء البشر الذين يهيمنون على القوة ، واستهلاك وسائل التدمير ، لا يؤمنون بالعدل والحق بقدر ايمانهم بالقوة ، ولا يحترمون المثل العليا والخلق الرفيع ، بقدر ما يحترمون الغدر والبطش ، انهم اقاموا حضارتهم على الاستغلال والاستعمار والمادة العجاء .

هكذا كانت نتيجة عام ١٩٦٨ ، مزيدا من البطش ، ودعم الاستغلال ، وتشجيع الاستعمار وتجبيد المادة العجاء ، في فلسطين ، وفي جنوب افريقيا ، وفي «روديسيا» وفي غيرها من الامم الضعيفة والشعوب المغلوبة على امرها ، وتأييد وجود الدخيل ودعمه بالمال والسلاح ، ليستمر بطشه واستغلاله واستعمارها ، وقد جرى ذلك كله امام اسماع وابصار دول العالم التي اقرت عام ١٩٦٨ عاما دوليا لاحترام حقوق الانسان الباحة والمضطهدة من قبل هذه الدول القوية المتسلطة .

واليوم تأتي الامم المتحدة ، وبعد تجربتها الفاشلة الاولى ، لتدعو العالم الى جعل عام ١٩٧١ عاما دوليا لمكافحة التمييز العنصري ، فهل نراها جادة هذه المرة الذي تؤيد به ؟ وهل هي واثقة من ان دول العالم ستستجيب حقا لهذه الدعوة ؟ وعلى اي شكل ستستجيب ؟ وهل ستشارك الامم القوية في المنظمة الدولية في مكافحة التمييز العنصري بايمان واخلاص ، ام انها ستشارك على طريقها الخاصة ، وعلى الشكل الذي تؤيد به ؟ وهل ستختلف مشاركتها هذه المرة عن مشاركتها تلك في عام حقوق الانسان ؟ وهل هذه الامم القوية ، التي قامت على الظلم والطغيان وانتهاك المبادئ والخلق ستحارب التمييز العنصري ، الذي انشأته ولا تزال تهد بالدم بكل ما تملك من قوة ؟

ان المكاسب التي حققها الامم القوية عن طريق انتهاك حقوق الانسان الضعيف وعن طريق التمييز العنصري ، لن تتخلى عنها ، مهما كلف الامر ، ومهما ادعت هذه الامم القوية كذبا بانها تشارك الهيئة الدولية في الاحتفال بجعل عام ١٩٧١ عاما دوليا لمكافحة التمييز العنصري . ان هذه الدول القوية التي انشأت هيئة الامم المتحدة ، هي التي شرعت لها ، ووضعت الانظمة التي تناسبها ، وسنت القوانين التي تتشأ واطباعها ، بطريقة توحى بالدفاع عن حقوق الانسان المضطهد ، لكنها تميز بين انسان وانسان ، وتفرق بين دولة ودولة ،

العنصري ؟ ثم ما بال هذه الدولة القوية ومعها بعض الدول القوية الأخرى تقدم الدعم العسكري والسياسي والمالي أيضا لدول عنصرية مثل جنوب افريقيا و « روديسيا » في عام دولي تحتفل فيه دول العالم بحرية التمييز العنصري ؟

اجل ان عام ١٩٧١ عام دولي تحتفل فيه دول العالم لمكافحة التمييز العنصري ، لان الامم المتحدة دعت الى الاحتفال بهذا العام ، ولهذا نرى البحوث تكتب ونشر والمقالات تدبج والقصائد تلقى ، والخطب تذاغ من المنابر ، وكلها تحت بني البشر على مكافحة التمييز العنصري ومحاربته واكثر بني البشر بن من التمييز العنصري ويوت اكثر الناس من الاضطهاد العنصري الذي يلافتونه ، في مختلف انحاء العالم ، بل وفي داخل البلاد الكبرى وعلى راسها الولايات المتحدة الامريكية ، التي يضطهد فيها الزنوج ، اصحاب البلاد الاصليين ، اما الاقلية البيضاء في جنوب افريقيا وفي « روديسيا » ، فتعمل تقنيا وتشريدا في اصحاب البلاد الاصليين ، وتستعبد وتذل البقية الموجودة التي لم ينلها التقتيل والتشريد ، والغريب في الامر ان الامم المتحدة تقرر عدم التمييز وتدعو الى مكافحته ، فتاتي هذه الدول القوية ، لتنفذ قرارات عدم التمييز ومكافحته ، بطريقتها الخاصة ، فتدعم هذه الاقلية ، البيضاء الوافدة من الخارج ، لتتسلط على اكثرية اصحاب البلاد الشرعيين ، ولم يتكف في ذلك ، بل تهد هذه الاقلية البيضاء بالسلاح لقتل وتشريد السكان الاصليين من الافريقيين ، بل للاعتداء على الدول الافريقية الاخرى المجاورة . وما نحن بصنع بين الجميع والآخر وفي هذا الصمام بالذات ، بالدعم العسكري والمالي لهذه الاقلية الوافدة من الاوروبيين لتزيد في تسلطها ، ولتعزز عنصريتها ، ويجري هذا الدعم ضد قرارات الامم المتحدة ، بل وفي العام الدولي لمكافحة التمييز العنصري .

ان التمييز العنصري الذي تدعو الامم المتحدة لمكافحته ومحاربته يقوم على ثلاثة ادواء هي اللون او السلون او الاصل السلافي ، وهذه الادواء الثلاثة من اشد الادواء فتكا بالانسان ، ومنذ عام ١٩٦٦ والجمع الدولي يحتفل وينادي في احتفاله بالقاء هذه الادواء ومكافحتها مكافحة لا هوادة فيها لانها تشكل التمييز العنصري الذي هو اشد آفات العصر فتكا بالانسان الضعيف ، والانسان الضعيف هو هدف هذه الادواء دائما . ففي شهر مارس من كل عام تكثر الدعوة ضد التمييز العنصري حتى جاء عام ١٩٧١ ليجري على ابتداده الاحتفال بالدعوة الى مكافحة التمييز العنصري المبني على اللون او السلون او الاصل السلافي ، وذلك حسب قرارات هيئة الامم المتحدة التي تضم من بينها تلك الامم القوية المستعمرة ، ذات الاطباع البشعة ، التي

لا تحترم قرارات الهيئة الدولية ، وانما تسخر هذه القرارات حسب مطامعها واغراضها ، فان كانت الاصوات الحرة ، والاقلام التزينة تدعو بني البشر لمحاربة الظلم والظفان ، فان هذه الامم القوية تحارب وبلا هوادة هذه الاقلام العجيبة ، وتلك الاصوات الحرة ، وتقف الهيئة الدولية ، عاجزة عن عمل اي شيء يسيء الى هذه الدول القوية والى سمعتها ، لان هذه الدول القوية تلك الحركة والمقدرة على ضرب اية دولة تقف حجر عثرة في سبيل مطامعها واغراضها ، ومطامعها واغراضها تتمثل اكثر ما تتمثل في انتهاك حقوق الانسان الضعيف ، وفي تشجيع وتأييد الدعوة العنصرية ، لان في ذلك دعما لقوتها المادية ، وانتصارا لمبادئها الهدامة لكل من خلق ، ولكل عدل وحق ، وهذه الاشياء تتناقض والادواء الثلاثة التي تشكل التمييز العنصري ، العرق او اللون او الاصل السلافي . فالدول القوية عرقها هو العرق المميز ، ولونها هو اللون الاحق بالسيطرة ، واصلاها هو الاصل الذي لا يجاريه اصل في هذه الحياة ، اذا فهي التي تلك القوة للسيطرة على بقية العروق والالوان والاصول التي تتمثل اكثر ما تتمثل في بني البشر الضعفاء الضعفاء **الفصل** لم تكنهم ظروفهم واحوالهم من امتلاك القوة ، والسيطرة على وسائلها .

ذهب الانبياء ، وولي المرسلون ، ومات المصلحون ، وبقيت رسالاتهم ، وتعاليمهم ومبادئهم خالدة ، تدعو للحق والعدل والمساواة ، وتنادي بالمثل والخلق والصدق ، وتضع نورا لا ينطفئ ما دام هذا النور يدعو وينادي بالمعادلة الاجتماعية بين الناس ، لكن القوي سيطر متشبها بقوته ، والظالم مستبدا بظلمه ، والمستعمر والمستغل متمسكا باستعمارهم واستغلاله ، وتلك طبيعة البشر ، وسنة الحياة ، لكن الحياة ان تظل جامدة ساكنة ، وانما تتغير بتغير الظروف والاحوال ، إذا لا بد ان يتغير هذا الحال ، وتطور الدائرة ، ولا بد للراسل والاعمال والمبادئ الخالدة ، ولا بد للحق والعدل والمساواة التي تنادي بالمثل والخلق والصدق ، ولا بد للنور الذي لا ينطفئ والذي يدعو وينادي بالمعادلة بين الناس ، لا بد لهذه كلها من ان تأخذ طريقها الى العقول الواعية ، والفوس الصافية ، والضمائر الحية ، والقلوب المحبة للسلام بين البشر ، لتحطم الاغلال وتكسر القيود ، وتلقى العنجهية والغرور وتكسر القوة الفاشية ، وتعيد الحقوق الى اصحابها ، وتبجي من الوجود خرافة العرق واللون والاصل ، وحينذاك يحتفل العالم احتفالا حقيقيا بالقضاء على التمييز العنصري .

عبد العزيز الزمراني



# أنوار الربيع أنواع البديع

في

تأليف: السيد علي حيدر بن معصوم المدني

بقلم  
عبد الرزاق البصير



تحقيق  
شكرها في شكر

إن الشيخ علي صدر الدين قد أورد بعض ما أورده القاموس حول لفظة فانس . وإنما هي مباحكة مقصودة . على أن مؤلف هذا الكتاب استطاع أن يجد على ابن حجة واحدة لا يخلو من صدق فإن ابن حجة نقل عن شيخه علاء الدين القطامي . أن أول بيت في الجنس المنعوي هو بيت ابن عيدون . وعنه أخذ صفى الدين العللاء المعري فيه جناس معنوي . ومن المعلوم أن إيسا العللاء عاش قبل ابن عيدون بكثير من مائة عام . أما بيت أبي العللاء المعري فهو .

نهارهم ابن يعفر في ضحاه

وليلة جوارهم نبت المحلاق  
وقد قال محقق هذا الكتاب أنه لم يجد هذا البيت في ديوان أبي العللاء المعروف بسقط الزند ولا في اللزوميات ووجدته في تعريف القدماء بأبي العللاء منسوباً إليه نقلاً عن الوافي بالوفيات . مما يدل على أن نسبة هذا البيت للمعري من الأمور المشكوك فيها . فإن صحت كان قول السيد صدر الدين مقارباً للصواب . لأن ابن حجة لم يبد هذا الرأي عن نفسه . وإنما نقله عن أحد شيوخه ومن العجيب أن المحقق لم يذكر لنا شيئاً عن أنه بحث عن الشيخ علاء الدين القطامي . أما بيت ابن عيدون فسنذكره بعد قليل . كذلك انتقد مؤلف هذا الكتاب تقي الدين بن حجة انتقاداً جارحاً لأن ابن حجة قال في بديعته :

إيسا معاذ أخا الخنساء كنت لهم

يا معنوي فهودني بجورهم

ربما سبب عنوان هذا الكتاب انصراف شكاينا عنه . لأنه مسجوع ولأنه يوحي بأن هذا الكتاب لا يعني إلا بالزخرفة اللفظية . ولئن الواقع ليس كذلك . فالكتاب روضة من رياض الأدب يقتل قارئه بكثرة من الفوائد غسلاً ما أتم قراءته استطاع أن يحصل على ثروة أدبية نادرة . والحق أن هذا الكتاب كنز من كنوز الأدب الرفيع . فيه ترجمة لثمانية شعراء وأدباء تقريباً ولا غرابة في ذلك فإن صفحاته بلغت (٢٧١) صفحة وعدد أجزائه سبعة . وكان سبب تأليف هذا الكتاب أن المؤلف كان يقرأ بديعة تقي الدين أبو بكر ابن علي بن عبدالله الحموي المشهور بابن حجة مؤلف خزانة الأدب المعروفة في الأوساط الأدبية . وأذ بقربة المؤلف تتحرك لنظم بديعية مشابهة لها فنظمها في مدة اثنتي عشرة ليلة . وقد تضمنت مائة وخمسين باباً من أبواب البديع ثم شرح هذه الأبواب ومنها تألف هذا الكتاب . هذا ما يذكره المؤلف عن نفسه لكني اعتقد أن المؤلف رأى أن ابن حجة كان معجباً ببديعته وأراد أن يثبت للأدباء أن موهبته في النظم والأدب وإطلاعه على الفنون الأدبية لا تقل عن موهبة ابن حجة الحموي وإطلاعه بدليل أنك ترى مؤلف هذا الكتاب كثيراً ما يحاول التقليل من شأن ابن حجة . فقد خطأه مثلاً في الجنس اللفظي في بديعية الحموي . حيث قال :

قد فاض دمعني وفاظ القلب إذ سمعاً

لفظي عذل ملا الاسماع بالالم

وإنت حين تقرأ مناقشة مؤلف هذا الكتاب لابن حجة لا تجد ما يثبت مجانبية الحموي للصواب بالرغم من

## فهو اذا رائته عين الرائي

### ابو معاذ واخو الخنساء

فكل ما جاء في هذه الارجوزة معروف لدى الناس  
اجمع ما عدا الشطر الاخير منها ، فما معنى قوله  
ابا معاذ واخو الخنساء ، وما معنى حشره مع جاهل  
طالب به عناء الشاعر ومع شحاته الاعداء ؟ لا يفهم ذلك  
الا من عرف اسم اخ الخنساء وهو صخر ، فالشاعر  
اراد ان يقول بان ذلك الجاهل الملازم له كان اقل على  
نفسه من الصخر ، وقول ابي بكر بن عبيدون ، وقد  
اصطبغ بخبرة وترك بعضه الى الليل فصار خلا :

### الا في سبيل اللهو كاس مدامه

انتنا بطعم عهده غير ثابت  
حكت بنت بسطام بن قيس صبيحة

وامست كجسم الشفري بعد ثابت  
واسم بنت بسطام بن قيس الصهباء . والذي لا يعرف  
ان اسبها كذلك لا بد وان يلتبس عليه ما رمى اليه  
الشاعر . على ان الجناس المعنوي ليس كله على  
هذا النسق ، فان بعضه وربها كثيرا منه لا يهتم الا  
بالامور اللغوية .

اما محقق هذا الكتاب ، الاستاذ شاكِر هادي  
شكر ، فانه من الذين احبوا عقولهم جبا جبا لهذا  
سمى الى تغذية عقله تغذية صالحة ثرية حتى اصبح  
قادرا على التحقيق والبحث ، وصار من الذين  
يستفيجون القبح في اجلاء الحقيقة العلمية ، فلقد  
حقق ديوان الشباب الطريف ابن معتوق الموسوي  
وذيوان السيد الجبري ، ولديه كتب كثيرة يعمل في  
تحقيقها . والتحقيق امر لا يعرف مشقة الا من يقوم  
به لانه يحتاج الى قراءة الكتاب اكثر من عشر مرات ،  
بالاضافة الى المراجع التي يقتضيها التحقيق ، وقد احتاج  
المحقق الى قراءة اكثر من كتاب ليجث عن بيت او معنى  
كلمة . وقد يذكر الكتاب الذي يعمل في تحقيقه مرجعا  
نادرا لا تدري كيف تحصل عليه . الى غير ذلك من  
المصاعب والمشاق الكثيرة التي لا تحصى ، والحق ان  
المحقق قد وثق في اخراج الكتاب فقد وضع له فهراس  
لما جاء فيه من آيات قرآنية واحاديث نبوية ،  
وللائسمار . ولاسماء الرجال ، وكان المحقق قد اخرج  
الكتاب في عدة صور اختار منها هذه الصورة التي هو  
عليها الان ، والصور التي تركها كانت ناعمة بمنزلة  
ينفع بها كثير من الناس لان فيها شيئا من التفصيل .  
ولكن خشي المحقق ان يكون الاكابر له لا للوئف ، وهذا  
ما لم يكن يقصد اليه ، وبعد فان المحقق من الباحثين  
المواضعين الذين لا يقتصدون من وراء ما يبدلون من  
جهد الا الثواب من باري النعم فجزاء الله احسن  
الجزاء .

لان ابا المعاذ اخا الخنساء ، جاء في ارجوزة للبهاء زهير .  
ولهذا استحق في نظر المؤلف ان يقول له ( والبهاء زهير  
اقدم عصرا من ابن حجة فذهب تبجحه بذلك ضائعا )  
كان كل امر يذكره اديب سابق لا يجوز ان يطرقه اديب  
لاحق ، ويتضح لك تغرض السيد علي رحمة الله اذا  
عرفت ان نظم الابواب البديعية من الامور التي يابخذها  
الخلف عن السلف ، ولست هنا مدافعا عن ابن حجة  
او متحيزا له او يفضلته على غيره من الادياب ، لكن الحق  
احق ان يقال ، وكل ما اردت توضيحه هنا هو ان  
مؤلف كتاب انوار الربيع يحاول في كتابه هذا الغرض من  
شأن ابن حجة وليتسنى اعرف سبب ذلك ، وما  
استشهدنا به هنا يعتبر من ايام  
ما قاله في ابن حجة على ان هذا  
لا يعني ايدا بان صدر الدين ليس اهلا لما نصب نفسه  
له من معارضة ابن حجة فهو من الذين اعطاهم الله  
اطلاعا واسعا يبرهن من يفت عليه وقدرة على النظم  
عجيبة . وقد شهد في حقه جماعة من العلماء وقالوا  
عنه بانه من ائمة العلم ونوادير العصر له مؤلفات نادرة  
من اشهرها سلافة العصر وهو معروف بين الادياب .  
وانت حين تقرأ تاريخ حياته تجد انه عاش حياة  
غنية مارس فيها الرياسة الزمنية والرياسة الدينية  
فقد كان قائدا وحاكما لبعض بلاد الهند وهو يجيد  
ثلاث لغات ، العربية ، والفارسية ، والازرية . على  
ما اظن ، فقد عاش في الهند ( ٤٠ ) سنة مقبلا فيها بين  
المناصب التي اشترت اليها ، ولقد عاش كثيرا من الناصر  
شحاته في ذلك شان كل من يتصدى لمل من تصدى  
له من شؤون الحياة ، ثم اخذ ينتقل في المدن المقدسة  
الحجازية ، والعراقية ، والفارسية ، لا يكاد يحل في  
بلد منها الا ويلقى التجلة والاحترام من العلماء والمنفقين ،  
وكانت ولادته بالمدينة المنورة سنة ١٠٥٢ هـ في ١٥  
جباي الاولى . اما وفاته - رحمه الله رحمة واسعة -  
فكانت في سنة ١١٢٠ هـ على ارجح الاتوال كما يقول  
المحقق .

ولقد وجدت نفسي منمغا الى ان اتف على امر  
ادبي موضحا استحسانه لان كثيرا من جيلنا الصاعد  
يمتدقون بان علم البديع شيء لا قيمة له لانه يتعلق  
بالزخرفة اللغوية . هذا الامر هو الجنس المعنوي ،  
وهذا الباب لا يتفوقه الا من كان اطلاعه واسعا على  
الاجاب العربي القديم بمثال ذلك قول البهاء زهير في  
هجاء ثقيل :

وجاهل طال به عنائي

لارمني وذلك من شقائي

ابغض للعين من القذا

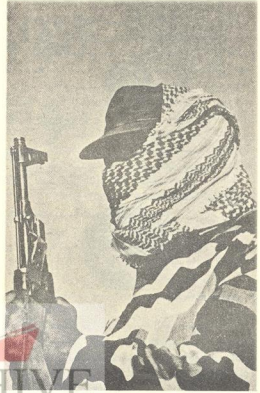
انقل من شماتة الاعداء

# سليمان العيسى والكلمة



ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>



الدم والنجوم سنة ٥٩  
ازهار الضياع سنة ٦٤  
كلمات ومقاتلة سنة ٦٩ وهو آخر ديوان صدر  
للشاعر .

وستأنتقل بالتاريء بين ثنايا هذه الدواوين لا  
لاطلاع على نماذج من شعر الشاعر ، ولا لاعرف به ،  
فهو ليس بالغمور فيعرفه انسان مغمور ككاتب هذه  
المسطور ، ولكنه في رايي شاعر فحل ، يلذ لي ان اقرأ  
شعره دائماً ، سيكون حديثي في هذه الدراسة عن  
سليمان الشاعر المقاتل لاعم سليمان الشاعر الفنان ،  
فشعر الرجل شعر الثورة العربية ، انه هداء العربي  
المناضل الذي عاش شقاء امته وانبرى يرسم الطريق  
لبنائها لتستعيد مكانتها وتبارها الحضاري ، فليست  
الثورة الا رفض دائم لاوزاع سيئة وشيبة الشاعر  
الذي تتطلبه مرحلة نضالنا هي ذلك الشاعر الذي يعني  
للمعركة ويبشر بالنصر ، وشاعرنا جندي سلاحه كلمة  
مقاتلة ، فلم يكن دوره في الصف الاخير يرقب تسلسل  
الاحداث لينفعل ويتهيج بتقلباتها فيعبر عن ذلك شعراً ،

انه كاحد ابناء جيله تلقى ثقافته الاولى في البيت ،  
وتحت شجرة التوت حفظ القرآن الكريم ، والملقات  
الجاهلية ، وديوان المتنبي وبدأ يكتب الشعر وهو في  
التاسعة ، كان في مدرسة انطاكية الابتدائية حين  
اشتعلت الحركة العربية الثورية في لواء الاسكندرونه،  
شمالى سوريا ، دافعاً عن عروبة هذا الجزء الذي  
اهداه الاستعمار الغربي الى تركيا عام ١٩٣٧ .  
طرد من المدرسة ، ودخل السجن غير مرة  
لمشاركته في المظاهرات الوطنية واشعاره الملهبة التي  
كان يلقيها في الجماهير .

كانت حياته ولا تزال موزعة بين التدريس والشعر  
والكفاح القومي وعمل مع زوجته على ترجمة عدد من  
اشار الادباء الجزائريين والمعالين الى العربية .  
صدر له ما بين ١٩٥٢ — ١٩٦٨ ثلاثة عشر ديواناً  
بالاضافة لبعض المسرحيات الشعرية ،

للكم الشاعر هو سليمان العيسى المولود عام  
١٩٢١ في قرية النعيرية على ضفة نهر العاصي غربي  
انطاكية ، وبين يدي ثلاثة دواوين للشاعر :



والشعر الثوري الاصيل هو الذي يرافق المعركة او يحرس لحياة فوق الجثث ، وهو الشعر الذي اذا مضى يقطر الما وحسرة انها ينتهي من لوعته بهدير ثورة تسطع بالنصر ، وذلك هو شعر سليمان العيسى ، وتجدد بنا عند كل نغمة ان تنطق شيئا من هذا الشعر يكون مضادنا لما نذهب اليه فما هو في قصيدة « اغنية الى مدينة الثورة » يقول :-

**لعمريك هاتذا في الجوع  
أصب بنجرتي نارها  
أطل على خندق الصامدين  
أدوس القبيود واثارها  
واحسو على بقعة من دم  
لأرشح كالنور تذكراها**

ففي كل بيت من ابيات سليمان تشم رائحة الدم والكفاح والبارود فشمرة دفقات من التحدي في قالب من النغم الشائر على شفة شاعر يغني للوحدة قبل ان تصبح حقيقة واقعة بين مصر وسوريا :-

**أكاد احس المحيط المقي  
على قديمي أمي غمها  
أعانيق نار الخليج  
وقدس معي النار والمضمار  
ضحى الوحدة انفجرت موجة  
على جانبيها الخلود أرقى  
ضحى أمي تتخطى الحدود  
لتلجول للأرض وجه السماء**

ان في كل قصيدة من قصائد شاعرنا غناء في القومية والشعور القومي . فلقطع طلع مع الكفاح العربي الجديد عنصرا فعلا على المستوى السياسي التضالي . فهو حين يتحدث عن القضية العربية تحس انه يتحدث بقضيته الخاصة هو التي لا يشركه فيها أحد فكل شهيد يستط في الجزائر او عمان او فلسطين انها هو واحد من أبناء سليمان المتفرقين على عرض الوطن العربي بأسره ، وحين تحصل انتفاضة في قطر عربي نرى سليمان من الفيحاء صفتها لها مرتشاشا مع الثوار ضاغطينا باصبعه مع الثوار على الزناد ولعل هذه الوحدة الحية المتلاحقة بين سليمان وشعبه وأرضه العربية الواحدة لاكبر دليل على ان سليمان لا يغني الا بأخصاص صادق وان هذا الغناء مقصور على همم الرجال وعلى وصف خطواتهم التضالية ، وهذا دليل الالتزام النابع من الذات المهمة ، الذات المتحررة المناضلة .

وشاعرنا يحس كما نحن بما يفعله الاستعمار طيلة فترة تسلطه فهو كان وما زال يشكك في حتمية وحدتنا لذا راح يبتدع أغرب النظريات لتفكيك الروابط بين أبناء البلد الواحد بما يثير من نغرات طائفية وأتلمعية ضيقة علما منه انه ما من شعب يحارب في تراثه

ويشكك في قيمه ومثله ويستطيع الثبات . وذلك كله بدافع ابقاء السيطرة الاستعمارية على خيرات هذا الوطن ، وكان الى جانب الاستعمار مغبلون كثر ، ومزمرون أكثر . من النهازين والمرتزة والدخلاء على اليق والفراب ، فهؤلاء المنتفعون سخروا شعرهم وبياناتهم وجرائدهم طول فترة نضالنا لخدمة أهداف المستعمر ، وإلى جانب هذه الاصوات المشبوهة والماجورة انبثقت اصوات مخلصات صافية تدافع عن تراثنا وثورتنا ووجدتنا . وكان من بينها صوت سليمان العيسى ففى شعره نقرأ عذاب شعب واضطهاد أمة ، فهو رجل أخذ على عاتقه ارساء فكرة لتكون قاعدة ينطلق منها الشعب العربي ، لقد حاول ان ينصب نفسه اسنادا في دروس القومية بشعره .

فما هو في مهرجان الكواكبي ينتشد .  
**لي في ضلوع الدجى ثار سابلفه  
ثار الصباح سجين القبر منهمها  
ثار الملايين من لحي ومن عصبي  
بين المحطين لحما مزقوا ودمها  
ثار العروبة .. ان لم اسق وحدتها**

شعري ، فلا اهتر قبثاري ولا سلما  
فشاعرنا رجل غمس قافيته في لهب الاعصار وهو يسخر دائما من تلك الاشعار الرخيبة التي لا هم لها الا ان يروح من الطاريء وترفعه عنه فهو لا يستطيع ان يصوغ ابتداء موسيقية ضاحكة في الحقل في بيت شعر ويستخرج فكرة الترفيغ والغزل ما دام تاريخ

## بسم : أحمد فؤاد الغول

الاسى يجثم على صدره وهو المسئول عن القضية العربية كلها ، هذا ما يراه سليمان بشعره ، اما الحب والحقل والشمس والوتر العطشان وشلالات الشعر فلا يؤمن بها الا اذا كانت وفق هذه الصورة التي يستعذبها :

**كفرت بالحقل يؤوي غير زارعه  
ويحمل الجرح لا شكوى ولا برما  
كفرت بالحب ان ينشر غلاته  
على حبيبين حام الذل فوقهما  
كفرت بالشمس ان تشرق على بلدي  
الا لتلتم أرضها حرة وسما  
أجنت بالوتر العطشان محترقا  
ونبت الزهو من يمانه والشمها**

والشاعر صاحب ارماسات خيره ، فهو يرى  
بشائيب فكره وسديد رايه واحترافه بالتجارب الفضائية  
وممارساتها ، يرى ما لا يراه غيره :

**هزل الزمان فنسكت رايانا**  
**يوما ، ونابت هادرات الضاد**  
**وطوى جناحيه العرين على قذى**

**ايام اعطيت العبيد قيادي**  
**ايام راح اللص يكرع من دمي**

**( وملوكي القديما ) نخب وداد**  
**ايام تلفت المشهيد وراءه**

**لبرد طعنة حاكم لا عادي**  
**من كوكبي المهذود ابدا ثورتي**

**من شرفة رقصت على استشهادي**  
**من قاعة سالك داعر عرشها**

**لاشقى فجر الوحدة التهادي**  
**يا تربة الاجداد ان تستسلمي**

**لن تركمي يا تربة الاجداد**  
**وتبشي الخسينات بالامة العربية .. بما فيها**

**من انقلابات وانتفاضات يبلغ فيها شعر الشاعر مداه**  
**في الروعة والقوة ، وكنتك تلك الاحداث فعلا هي**  
**الحرك الاول واولد القوة الساحرة في شعر شاعرنا ،**

**وتطل الشبكات لتقلد الامة بعض ثمار تلك الانتفاضات**  
**ويأتي يوم ١٩٨٤ فيطلع علينا سليمان العيسى بديوانه**  
**( ازهار الضياع ) وفيه يمتزج شعر القوة بالشعر**

**الوجداني الغنائي ، لكن طابع ( ادب القوة ) لم يفارق**  
**شعره لا في ساعة سلوته ولا في ساعات غزله ،**

**فها هو في قصيدة ( سارقو النار ) رغم ما فيها**  
**من توة الشكينة والنفل الصامت ، الا انك لا تحس**  
**فيها ذلك الفوران الجائش الذي يكاد يكون طابعها**

**عاما لتصادم سليمان الوطنية ، فهو هنا يخاطب**  
**شعراء الغرب :**

**يا سارقي نار الاله**  
**بارضنا نار غريبه**

**اكلت عيون الناظرين الى السماوات الرحيه**  
**من كوة خلف الغروب بكفنا كف خضيه**

**لم تعرفوها انها**  
**ماساة اغيتي الصليه**

الى ان يقول :

**لا بد من ظل ولو**  
**شط السفار بنا وطالا**

**آمنت بالشعر شلالا اصب به**

**سحر الرجولة اسقي الجبل مقتحما**

وسليمان العيسى بعد كل هذا عربي كثير الزهو  
بمجده الاتيل وتاريخه الفذ فهو حين يسمع بانتفاضة  
عربية ، ترن في خاطره ذكرى واقعة من فتوحات العرب  
وحين يحس بواقع المأساة ينتفض نورا غضوبا وينثر

**جناحيه غمامة تتحدى النجر ،**  
**رمالنا السمر تدري من ينضرها**

**ومن يرد شبيب الفتح ان هرمنا**  
**وفي رحاب بني حمدان وشوشة**

**تفجر الارض بالسمر الذي كنمنا**  
**تنبهي يا وكور النسر وانفتحي**

**على السماوات ، ان القيد قد خطما**  
**اغرودة الوحدة الكبرى خذي كبدي**

**عبر الزمان تسابحا لها وفما**  
**وما قرأت منذ ان انشد ابو تاهم مرافقا لجيش**

**المعتمص في موقعة عبورية ما قبل في الشعر القومي**  
**اروع مما كتبه سليمان العيسى في غنائه للوحدة ،**

**رغم ان مرافقة الجيش او مشاهدة المعارك هي المهبج**  
**الاول لشعر الشاعر ، فلقد اجمع الدارسون والنقاد**  
**ان القطع المتوجهة من شعر المتنبي هي روبياته التي**

**قالها مرافقا فتوحات سيف الدولة ، ورغم ان**  
**سليمان جندي متقاعد .. لا يحيل بكيفية الا ان هذا**  
**الشعر الثوري ، لا يصدر الا عن مقاتل عظمى**

**كثانة الله ، مدى الظل في وطني**  
**وفيئي السهل من عدنان والاكما**

**انا ظلمنا على الدنيا باغنية**  
**خضراء فليصطنع اعداؤها الصمما**

**كالمشمس ثورتنا ايناح عسجدنا**  
**على الكروم فيسقي الشوك والعنما**

**كالتهر موكبنا يمضي لطيفه**  
**ويستحث خطاه الصخر ما اصطدما**

**آمنت بالوحدة الكبرى ، بصحوتنا**  
**هما جناحي في الزحف العظيم .. هما**

**ولولا خشية مجانبية الموضوعية في هذه الدراسة**  
**لاستلارني الحبايب لشعر هذا الرجل وقتل : ان كانت**  
**هنالك امة تتوق للصحو وتعمل على استعادة عزتها**

**وبجدها فاحري بها ان تحفظ دواوين هذا الشاعر**  
**في كل بيت .. في كل مدرسة .. في كل مكتبة .. وان**  
**تدرس للفائشة تيل غيرهم وان تصبح اناشيد قومية**  
**تذفي جيلا كاملا بالرجولة .**





لا بد ما اشقى مصرير الارض صحراء وآلا  
المجد للفلوذ يحدو الركب ينتعل الرجالا  
يا شعر قطرة روعة  
يا شعر تنحنا الجهالا ..

وكانت كلها هدات الانتفاضات في الوطن العربي،  
اتجه الشاعر ليرد على الادباء الغربيين .. بدافعا  
عن التراث ، شادا على ايدي المتصنين منهم .. رافعا  
راسه كبيرا بشهادة ادلى بها غربي .. فيبدو ان الشاعر  
بعد ان قرا كتاب ( شمس الله تشرق على الغرب )  
لسيفريد هانك وفيه تعرض المؤلف لما ورثته اوربا عن  
العرب ، فهو بعد ان قرا الكتاب وجلس في المقهى  
يتمتع بقراءة هذا الكتاب الذي يعترف بصنيع اجداده  
لركب الحضارة الانسانية ، كان يرى سليمان ويده تقتل  
شاربيه زوها تارة ، وتكسبها ثانية .. الما وحسرة ..  
تائلا ( كنا اذا )

(( قد ابدع الاجداد )) . يا لارث وضاء نبيل  
يمشي البتاي فوقه قبرا ، يلي ، قبرا ذليلا  
( كنا اذا ) سلوي كما انهر السحاب على حديقته  
من الف جبل صوّت ، يبيت زنايقها العنيفة  
( كنا اذا )

شكرا على القطرات تيسع لي عذابي

اني شبع من السراب

وتشدني كالموجة التكلي سطور في كتاب

والف حزن في تشديد

وادق باب الصمت

اسأله ملاذا من جديد

وسليمان حين يتغزل فاتما هو غزل الشيوخ  
ووقار الزهاد وحشمة الشعراء الملتزمين ، وما الغزل  
في دواوينهم سوى تهوية مجد ، ومحطة استراحة  
يلقى فوق عتبة راسه المكود ويربح يراعه الذي اتعبه  
التفصال فغدائر حبيبه :

غريبة كدموع الفجر ، رائحة

كدفقة الوحي .. فكته يدا رصد

نثرنا في خيالي الف ساقية

وجداول بحضن التور متقد

ضمي يديك اسلسل في عبيرها

روائع الله من شعري ، ومن سهدي

لي مرغان وراء القيب عندهما

القيت يومي ، وامسي ، والهوى ، وغدي

بحيرتان وزادي من صفائهما

لمح واغنية عصماء لم اُرد

قصيدة انت اغني عند شاطئها

على شعاع .. على حلم .. اضم يدي

فـ ( ازهار الضياع ) يغلب على قمائده الطابع  
الوجداني والنضال الهادي لا الهادر ، واثرك  
للغاري مهمة مطالعة هذه الاشعار لاني مقتصر بدراستي  
هذه من شعر الشاعر ، على الشعر المتحدي ، على  
الكلمات المقاتلة دون غيرها .

وفي عام ١٩٦٥ اعلنت الثورة الفلسطينية عن  
ميلادها فسجلت اول طفلة داخل الارض المحتلة ..  
وزحف عام ١٩٦٧ وامלט شمس الخامس من حزيران  
باهتة صفراء حزينة فذهل العرب .. كل العرب ،  
واشدت على اثر ذلك ضربات الفدائيين واتجهت  
الانتظار الى العزمات الشابة رائية فيها فلق الصبح  
من خلال غياهب الظلام ، وانطلق الادباء العرب  
يرددون سدى ضربات الرجال .. وانبرى الفارس  
ليأذنه .. غافل سليمان العيسى من جديد ، بديوان

في جسد الأرض المحورة  
مر الشمس

وسرى عرش  
لم يزرع في دمنظر

ماذا تجدي في مقبرة الذل النظرة ؟

لم يجلدنا حتى سوطا  
اعتدنا ، منذ جرعنا خطوات المحتل ، السوطا

ومضينا نمضغ ما قلنا

ثم يصف مرور الشمس :

كالومضة مر على بردي

كالروح الهائم فوق ثرائنا ،

يمطرنا نارا ونندي

وهواليه تلقف زنود

صنعت فيهن رعود .

رفقاء النعش فداثيون

يا اكليل الورد الأخضر

يعلو البطلا !

انزل ، وتبدد في وطني شوكا احمر ...

واحس وانا اقرا هذه الكلمات ان غير سليمان

قد كتبها ، فلبست ادري اهدات عروق الرجل فعلا

يحكم المتن ... وابن الخمسين شاب .. ام انه ما

زال واجبا امام ذهول النكسة وهولها ؟ ام ان مركب

الشعر المنقول الذي ركبته لم يساعده على ابراز ما

يعتدل صدره العربي الذي تعود ان يشمخ حتى عند

الهزائم معتدا بنصر قادم ١٠٠ وللشاعر في هذا

الديوان قصيدة في رثاء امه واخرى الى ( الغريبة )

لن تناولها بالتعليق .. لخروجها عن مجال الدراسة ،

وتستائر بالديوان قصيدة طويلة ( الشاعر والاصوات )

تشغل حيزا من الصفحات من ( ٣٨ - ٨٣ ) يركب فيها

الرمزية تارة ويكني اخرى ويعني بالناحية الفنية للشعر

( كلمات مقاتلة ) ١٩٦٩ حيث صدره بهذا الاهداء

« الى الفدائيين العرب الذين يعلموننا كيف نكتب »

واستله به ( اغنية مرة ) يقول فيها :

من الماراة اسقي كل حاجسة

واللق الياس روحا في خناجره

من الماراة - لا تسال - سندمنها

لكي نحدث جيلا عن مصائره

وعلى هذه الوتيرة تستبد بالشاعر الماراة والياس

على صورة لم نشهدها بقمائده واشعاره كلها منذ ان

كتب اول بيت ، ولكنه كعادته يلثم جرحه ، ويبسح

جراحه الزاعفة بشغفه ويتف وقفة الرجل الذي

عهدها فيقول :

اسق البراعم من ابنائنا املا

نفتسه ، وهو في اندى بواكره

وقبل دق فداثي بقبضته

باب الحياة على انقاض دائره

صوت تفتح ابواب النهار له

وتستضيء بخطط من صفائره

يا خطوة في ظلام الموت وانقصة

انت الطريق ، فتشبهه لعابره

ردي الى وجهنا الماء الذي سفحوا

تحت النعال ، وصونه لهائره

لم يبق من رعشة الاك صامدة

على تراب ابحناه لتناحره ،

ثم يعتذر في اخر قصيدته وكان كل مهيجات

الشاعر قد نصبت :

سجاء شعري كضرع الصخر يابسة

وغصة مرة .... ديوان شاعره

اقبال الياس في صوتي بقافية

هيهات .. مات ربيعي في بشائره

والنكسة لم تنل من عصب الشاعر فحسب بل

نالت من شعره ايضا .. لقد افقده تلك القطع

المتوهجة .. تلك الحمم البركانية .. ذلك الزخم الذي

تعود ان يلقيه في نفس قارئه حتى انه يعترف بان

ربيعه قد مات في بشائره ، ولا اخال ابن الحادية

والخمسين وهي عبر الشاعر الا وقد هدأت الدماء

الهادرة في عروقه لذا .. لم يصرخ صرخة شاب يتحدى

الهزيمة كما كان يفعل في الخمسينات ، وحتى مواكب

الرجال ما اراها عادت تهز شاعريته كما كانت تفعل

في شعره من قبل ، فما هو في قصيدته ( نعش فداثي )

يصف الموكب الحزين بموضوعة هادئة مستسلمة :





# من حكايات حينا

شعر: رياض المعلوف

أَوْ أَتَسْأَلُ لِقَاءَنَا فِي الْعَشِيِّ  
وَحِكَايَاتِ حُبِّنا الْعَاطِفِيَّةِ  
حِينَ كَانَتْ تَرَوِي عُيُونِي الْأَحَادِ  
بِثَلَمَيْنِ الْمَلِيحَةِ الْقُرْحِيَّةِ !!  
تَمْتَلِكُ كَانَهَا أَغْنِيَاتِ  
وَعِثَابٌ .. وَضَحْكَةٌ لِلْأُولَوِيَّةِ ..  
كَلِمَا بُحْتُ بِالْهَوَى سَتَنَى  
ثُمَّ تَقْضِي الْأَنْظَارَ وَهِيَ حَيَّةٌ ..  
وَعَلَيْهَا مِنَ الْحَيَاءِ رِدَاءٌ  
لَمْ يَدْنَسْ .. وَآ مَتَعَتِي الرُّوحِيَّةُ !  
هَكَذَا صَبَوَةُ الْحُبِّ الْمَعْنَى  
بِقَلَامٍ أَطْوَارُهَا صُوفِيَّةٌ ..  
نَظَرَاتٍ تَمِيتُ قَلْبِي وَتُخَيِّنُ  
عُذْرَهَا كَانَ أَنَّهَا عُذْرِيَّةٌ !!

المتنور الذي لا أرى للشاعر فيه باعاً طويلة .  
ويعود للشاعر زخه الشعري وإصالته في القوة  
وصياغة الكلمة المقاتلة في القصيدة التي يرثي بها  
الشهيد (عبدالمعظم رياض) ، ومع الشاعر الحق حين  
اعتبر أن وفاة البطل واستشهاده في مقدمة جنده بشرى  
من بشائر النصر :

يُبَيِّضُ شَامَخَةَ الْأَسَى سَيِّئَاءَ  
تَسْقَى بِجُرْحِكَ رَوْعَةً وَتَفْصَاءُ  
انْزَلَتْ عَنْ صَدْرِ الْعُرُوبَةِ صَخْرَةً  
وَتَزَحَّضَتْ عَنْ دِرْبِنَا غَمَّاءَ  
عَرَفَتْ مَلَائِينَ بِصَدْرِكَ جِسْرَهَا  
فَلْيَعْبُرُوا جِسْرَ الْخُلُودِ مَضَاءُ  
ويعود الشاعر لنشوته فيشم في دم الشهيد رائحة  
المسك مختلطة بعرق الرجال المناضلين الذين يستقون  
في خنادق الشرف ويعود له تناول :  
مَا مَاتَ تَارِيخِي الْمَظْلُومَ وَلَا انْطَفَأَ  
وَهَجَّ الشَّهَادَةُ فِيهِ وَالشَّهَادَاءَ

الآن افتتح النزال بامتني  
وتشع دنيا كالضحي عرياء  
دق الفدائيون باب نشورنا  
وكالف بشرى بالرسالة جاءوا  
بدا الربيع يدب فوق دمارنا  
الأم يجدد أمة ونداء  
وهكذا يعود هدير دم الشباب لعروق الشاعر  
ويستند من استشهاد عبدالمعظم نفساً طويلاً على طريق  
الصبر ومعاودة الكفاح حتى يقول :  
الآن ابتدئ النزال بامتني

وطويلة البياذني عصماء  
وهذا إيمان راسخ بطول معركة التحرير وعزم من  
الشاعر الكيد على مواصلة الطريق .. وأن ذهول  
النكبة قد فارقه ، غيوت القائد في مقدمة الجيش ..  
ووقوفه في الطليعة .. شيء ما شهدته الجيوش العربية  
منذ عهد صلاح الدين .

وأخالتني قد أطلت فعلاً ، فعذري اني بشعر  
الشاعر معجب .. وبدروسه القومية وأرتعاشاته  
العربية الثورية مأخوذ ، ثم .. انه وأشعاره ودواوينه  
.. جدير بالكثير من هذا الجهد المتواضع الذي أبدت  
في هذا العرض .

احمد غزاد الغول





سر العدو فبات ساهر  
 يصفي الى زف العييل  
 جذلان يضحك ملء شذقيه على كوم المجازر  
 متشبهت ويلمه  
 يتصيد الفرص الملائمة التي تسدي المحاجر  
 ويود لو ينقض قبل طلائع الاسحار باكرا  
 لينال منكم بعض ما  
 يبقي لاشغال الخواطر  
 ابيكم طاشت وطاش العقل واندفع المفاهيم  
 البعض يقتل بعضه  
 يا فدح هاتيك الخسائر  
 والمدفعية تقصف الاحياء والرشاش هادر  
 وقاتل النابالم والفسفور تصرع كل عابر

والجيش ويح الجيش يفتك بالعفيفات الحرائر  
من كل جلف جائف وحش من الاحراش كاسر  
لا يعرف الدين الحنيف مذبذب بالله كافر  
باع العروبة واشترى بدلا لها حمر الاباعر  
لقد استعانوا بالارائل من حثالات العشائر  
او ليس اخرى ان يكون رصاصكم خلف المعابر  
لصدور اعداء هناك برابر عدمو الضمائر  
فلو ان تلك الحرب دارت في ربى تيل العواهر  
لتبددت احلامهم وغدت بساقي الريح (مائر)  
قل لي بريك مفصحا يا من ياهقه يتاجر  
من ذا سيربح تلکم الجولات أم من ثم خاسر  
فسخسر الطرفان في هذا التراشق والتناحر  
يا للعروبة أصبحت مشدودة بجناح طائر  
لم يشهد التاريخ مذبحه تشق لها المرائر  
كقبحال اخوتها الذي في ساحة الاردن دائر  
هدت بيوت اللاجئين واحرقت حتى المقابر  
فيها الارامل واليتامى والتشيوخ وكل قاصر  
شر اريد بها وتصفية واذلال الاكابر  
لقد استحر القتل في عمان بين ذوي الاواصر  
في السلط في الزرقاء في الوحدات تلتهب المشاعر  
اشلاؤهم قد بعثرت فوق التراب وفي الحفائر  
حتى لقد عزت على جث الرجال بها المقابر  
من فوق ارصافة الشوارع ننهها كالمسك عاطر  
شهداء في دار الخلود ملائك من كل طاهر  
لم تترك النكبات في ارجائها نفسا لثائر  
حفت بها من كل صوب عنجيات المقاهر  
محن على عمان واكفنة واحداث هوامر  
وحكومة جرت رعونتها على الشعب الجرائر  
قد اكملت خلقاتها في سلك متكبي الكبائر  
فالخوف والظلم المدمر والفناء بها يحاصر



شعر

عبد الله

سنات

# حقيقة المناظرات النحوية واللغوية

موت

بقلم الدكتور / عبد الحميد السيد طلب

مدرستين كابلتين لكل منهما مذهبها واسسها وتفكيرها  
ورجالها .

وقد تأخذنا الدهشة والعجب اذا رأينا مدرسة  
الكوفة قد اخذت وضعا ممتازا في عصر الرشيد والبرامكة  
مع انها وليدة مدرسة البصرة ، ولم يبق على ظهورها  
الا وقت قصير اذا تيسر بعمر المدرسة البصرية ، فقد  
وصل الكسائي الى دار الخلافة واصبح مؤدب ابناء  
الخلافة ومعلمهم ، وصار هو وصاحبه : الفراء وخلف  
الاخير من جلساء يحيى بن خالد البرمكي وولديه : جميع  
والفصل .

والحقيقة التي يمكن استخلاصها من سيرة  
البصريين والكوفيين ، ان الكوفيين كانوا اكثر تفللا  
في صفوف المجتمع والحياة العامة ، واكثر سعيا للوصول  
الى مجالس ذوي الامر والتهنئ من الخلفاء والوزراء  
والامراء والولاة والقواد ، واكثر ميلا الى التفكير المنحدر  
من قيود المنطق والفلسفة ، كما ان موقعهم الجغرافي  
قد هبسا لهم قريبا من دار الخلافة في العاصمة العباسية  
( بغداد ) ويسر لهم الاتصال بذوي الحل والربط ، اسأ  
البصريون فقد كانوا على عكسهم ، قد وهبوا انفسهم  
للعلم والبحث والقاء الدروس في المساجد والحلقات ،  
واستخلاص الاسس النحوية واللغوية طبقا لمتطلباتهم  
المنطقي الذي وضعوه لمذهبهم ، وقد شغلهم ذلك كله  
عن المشاركة في الحياة العامة والتترب الى الحكام  
واصحاب الشأن ، ومن يدهم السلطان والدولة .

وكما كان الخلفاء يبتاعون ويفخرون بتقريب  
الشعراء والادباء من مجالسهم ، ليشع بين الناس  
حبهم للادب ، وحرصهم على نشر الثقافة العربية بجوار  
حرصهم على ذبوع صينهم وعلو مكانتهم وتثبيت اقدامهم  
في حكمهم ، كانوا ايضا حريصين على تقريب العلماء  
اليهم والاعداق عليهم .

وكان حتما — لما قمنا من وصف لحال البصريين

جرت بين النحاة واللغويين منذ زمن قديم  
مناظرات نحوية ولغوية ، جاءت نتيجة للقواعد التي  
تمسك بها كل فريق ، وظهر من خلالها المذهب النحوي  
واللغوي لكل فئة .

ولو تتبعنا هذه المناظرات ، كما جاءت في كتب  
الاخبار والروايات التي اهتمت باللغة والنحو وتاريخه  
ورجاله لوجدناها قد احتلت جانبا كبيرا من حياتهم ،  
وكشفت في وضوح عن البناء العام لمذهبهم ، وطريقتهم  
في التفكير ، وابانت عن اوجه الخلاف فيما بينهم ، بجانب  
ايضاح العوامل الاخرى التي ساعدت على اقامة مثل  
هذه المناظرات ، وان كان بعض هذه العوامل مشوبا

بما يبعدها عن الروح العلمية البحتة .  
ولا شك ان المناظرات النحوية كانت لها نتائج  
هاية في ابراز المذهب النحوي لكل فريق من المفاظرين  
ولا عجب اذا ان نرى مسائلها التي تنوظر فيها اكثر  
بروزا وتحديدا عن المسائل الاخرى التي جافت عبر  
كتب الروايات والاخبار هادئة وادعة .

واذا تتبعنا نشأة النحو بالبصرة على يد ابي  
الاسود الدؤلي المئوي سنة ٦٧ هـ (١) ثم قيام الكوفة  
بعدها وانتشار النحو فيها على ايدي ابنائها من امثال  
المفضل الضبي المئوي سنة ١٧٠ هـ وابي جعفر الرؤاسي  
الذين تلقوا العلم عن البصريين في بادي الامر ، وكانوا  
تلاميذ على المفكرين والعلماء في البصرة من امثال  
الخليل ويونس بن حبيب (٢) وجدنا ان ابناء الكوفة  
قد بداوا يكونون لهم رايأ خاصا ومذهبا محددا يتنافسون  
، راي البصريين ، ويحاولون نشره على اسس تخالف  
... في كثير من الاحيان — الاسس والمبادئ التي اقام  
عليها البصريون مذهبهم .

وكان للتفريعات اللغوية ، وكثرة البحث والدرس  
والمناقشة في عصر الخليل وتلاميذه اثر كبير في انكساف  
روح المناقشة والجدل ، وبخاصة ان الدولة في ذلك  
الوقت كانت تشجع العلم والعلماء وتقربهم ، وبذلك رأينا

ثلاث مرات ، يخطئه في كل اجابة عنها مما يجعل سيوييه يرى الامر مبيناً ، فيحجم عن الكلام حتى يحضر صاحبيه الكسائي .

ويحضر الكسائي ، وقد ظهرت عليه روح التحدي واضحة ، فيقول لسيوييه ، تسألني ام اسالك ؟ وبروح العالم المتواضع يجيب سيوييه : بل تسألني انت . ولو اراد سيوييه ان يعجزه لبدا بالسؤال ، ولأني يعويس المسائل التي كان في امكانه ان يعجز بها الكسائي .

ويبدأ الكسائي سؤال سيوييه بقوله : كيف تقول : كنت اظن ان العتوب اشد لسة من الزنبور فاذا هو هي ، او ماذا هو اياها ؟ فيجيبه سيوييه — طبقاً لذهبه — بان الواجب ان يقال : فاذا هو هي ، ولا يمسح ان يقال : فاذا هو اياها ، ويجيبه بنفس الجواب عن المسائل المشابهة لهذه المسألة التي سال عنها .

وحجة سيوييه في ذلك ان (هو) مبتداً بعد (اذا) ولا بد له من خبر ، و (هي) ضمير رفع خبر للمبتداً ، ولا يصح ان يقال : فاذا هو اياها ، حتى لا يخير بين ضمير رفع عن ضمير رفع .

ولكن الكسائي يقول : ليس هذا من كلام العرب والمغرب ترع ذلك كله وتنصه (٤) وهو بقوله هذا يمثل رأي الكوفيين الذين يوجهون حالة النصب بان (اذا) اذا اعتبرت فجائية فهي ظرف مكان والظرف عندهم يرفع ما بعده ، ويعمل في الضمير عمل (وجدت) فينصبه (ه) واذا لم تعتبر فجائية فان الضمير بعدها (عباد) لا محل له من الاعراب و (اذا) هي التانيئة للضمير (اياها) لانها ايضاً بمعنى (وجدت) ، وقد قال بهذا الرأي الاخير ايضاً (ثعلب) (راس المدرسة الكوفية فيما بعد .

ويتدخل يحيى بن خالد البرمكي حينها يرغب سيوييه كلام الكسائي ليحسم النزاع الذي احتدم بين رئيسي المدرستين ، فيسأل عن يستطيع الحكم بينهما وهما رئيسا بلديهما (البصرة والكوفة) ؟ فيسارع الكسائي الى القول بان بيباب الامير طوائف العرب من كل صوب وصفت وهم قصفاء الناس ، وعنه رضى اهل البلدين : البصرة والكوفة ، ويشهدون لهم بالعلم والفضل ، وهم يستطيعون الحكم بينهما فيها اختلفا فيه ، واذا بالامير البرمكي يكون اسرع تلهفا الى ما اراده الكسائي ، فيستدعي الناس الواقفين بيبابه ،

والكوفيين — ان يقرب الخلفاء والامراء والوزراء علماء الكوفة من مجالسهم ، ويدنوهم من مجتمعهم ، ويتقوا الى جانبهم ، او يناصروهم في رأيهم ولو لم يكن هو المقبول او الاصوب ، بل ويجسموا لهم الانصار والمؤيدين ليسبقوا لهم الغلبة اذا جرت مناظرة بينهم وبين البصريين بل لعل هناك باعاً سياسياً لدى الحكام والخلفاء لتقريب الكوفيين وتفضيلهم على البصريين لا يستطيع الباحث اللغوي الوصول اليه ، وانما قد يستطيع ذلك الباحث السياسي والتاريخي .

وهذا سيوييه راس المدرسة البصرية في عصره وتلميذ الخليل ، واول من اخرج في النحو واللغة كتاباً يكتل القواعد والاسس يجمع شتات اللغة والنحو ، ولهجات العرب ، ويتعدها ويقتنها على اصول استقناها من سبقه من علماء البصرة منذ بدا التفكير في نشأة النحو على يد ابي الاسود ، اقول : هذا هو سيوييه يرى تقريب البرامكة للكوفيين وعلى راسهم الكسائي وصاحبه : الفراء وخلف الاحمر ، فيطلب الى يحيى بن خالد البرمكي ان يجمع بينه وبين الكسائي للمناظرة في مجلسه (٣)

وتضي الكتب والروايات فنذكر ان سيوييه قد حضر الى مجلس يحيى بن خالد ، وكان يضم ولديه جعفر والفضل ، وكثرة من عليه القوم واكابرهم ، كما كان يضم كلا من خلف الاحمر الراوية المشهور ، والفراء العام الكوفي الذي كان يحلل المركز الثاني بعد الكسائي في المدرسة الكوفية آنذاك ، ويتقدم خلف لغير ثائرة سيوييه ، فيوجه اليه عدة اسئلة ويعقب على اجابة سيوييه بقوله : اخطأت اخطأت ، مما يجعل نفس سيوييه تتور لكرامته التي اهدرها خلف الاحمر في مجلس الامير واصحابه ، فيندفع مع ثورته شائها خلف الاحمر ، واصفا اياه بسوء الادب ، وهذا ما كان يبتغيه خلف في حضرة الامير ليثيره ضد سيوييه ، وليبين للامير بطريقة ملتوية ان سيوييه لا يستحق المركز العلمي الذي ذاع عنه وعرف به ، فهو رجل مشرع لا يعرف كيف يحفظ لسانه ، وليس ذلك من شعبة العلماء .

وما يكاد خلف ينتهي من مهمته المرسومة التي وكلت اليه حتى يبدأ الفراء ، فيأخذ بزمام الامر قبل ان يهدأ سيوييه وتتبخثر ثورته في حضرة الامير ، ليؤكد النتيجة التي وصل اليها صاحبه (خلف) فيبدأ في سؤال سيوييه



## موك حقيقه المناظرات الخوية واللغوية

بقلم الدكتور / عبد المجيد السيد طاب

والثقة وحسن الرواية دليل آخر على تدبير الامر .  
**سادسا :** وبان الواقفين بباب الامر يعرفون المسألة مقدما ، وقد لقنوها ، ووقفهم بباب الامر في هذه اللحظة بالذات يدل على التدبير المبني ، كما انهم يعلمون صلة الكسائي بالامر ولا بد ان يشهدوا لرايه .

**سابعا :** ويتم فصول التمثيلية التي خطط لها باظهار فضل الكسائي على سيبيويه لا في العلم فحسب ، بل في الفضل والخلق ، فبتوسط لدى الامر لوجود على سيبيويه بعطفية مادية تموضه عن عقله وخيبة امله .

\*\*\*

والحق الذي يجب ان يقال : ان سيبيويه لم يحقق في مناظرته الكسائي اخفاقا علميا ، ولكنه اخفاق سياسي ، وذلك للعوامل التي قدماها ، فقد كان شابا صغير السن لم تسر بذكره الركبان برغم مكانته العلمية ، وكان الكسائي قد وصل في مكانته الاجتماعية الى مجلس الخليفة ( الرشيد ) ووزيره ( يحيى بن خالد ) وهؤلاء الواقفون بباب الامر او الذين جاء بهم الكسائي او من كان يتشبع له كانوا يعرفون قدر الكسائي عند الرشيد ووزيره ، ولا شك ان الناس يؤيدون ويعظمون من يقدمه الخليفة والوزير وذوو السلطان في الدولة .

هذا من ناحية ، وهناك ناحية أخرى لا تقل خطرا عما سبق من التدبير والترتيب ، وقد استغلت هذه الظاهرة في تلك المسابقة كما استغلت في المناظرة التي حدثت بين سيبيويه والاصمعي (٦) تلك الظاهرة هي اللقطة التي كانت تدبج لسان سيبيويه عن الانطلاق في مناظرته ، وقد استغلها مناظروه ، وقاموا بشرح وجهات نظرهم — وان لم تكن صوابا — بطلاقة وحسن بيان وطلاقة لسان ، بينما كان سيبيويه يتعقد لسانه احباتا اذا اراد التوضيح او اقامة الحجة ، وهذا لا يجعلنا الحكم القاطع بان سيبيويه قد اخطأ ، ولا ريب ان الناس يعجبون بصاحب اللسان النصيح والمنطق الذي يؤثر في اسماعهم ، وقد عرف ذلك خصومه فاستغلوا فيه تلك الظاهرة استغلالا كاملا لصالحهم وتوضيح وجهة نظرهم ، ولو كانت على غير صواب .

وهذا هو ابو حاتم السجستاني يحدثنا عن اعتراف

ويسألون عما دار بين سيبيويه والكسائي ، فيؤيدون رأي الكسائي وينطقون بها قال ، وينكرون ما قاله سيبيويه ، فيؤيد سيبيويه بالفشل ، ويكتم في نفسه حزنه وحمه لما اصابه .

وتتم التمثيلية المرسومة بان يتقدم الكسائي الى الامر راجيا الا يخيب امال سيبيويه الذي حضر من بلده مؤملا فيه الخير والنوال ، فيستجيب الامر لرجاء الكسائي ويهب سيبيويه عشرة الاف درهم .

واذا سلمنا يصدق ما قالته الروايات حول هذه المناظرة ، فاننا نستطيع القول :

**اولا :** بان التنية كانت مبنية بالاتفاق مع الامر البرمكي لاجراء سيبيويه عن صوابه .

**ثانيا :** وبان تخطئة خلف لسيبيويه كان المقصود بها الحط من قدر سيبيويه واحراجة في مجلس الامر .

**ثالثا :** وبان اسئلة القراء التي واصلت الهجوم على سيبيويه كان المقصود بها اسرار ثورة سيبيويه ليدو في مجلس الامر في صورة الرجل المتجمل ذي اللسان المنزلق الذي لا يعرف للامر مكانته وتقدره ، ولا يحسن التعبير في مثل هذه المجالس العالية ، وبذلك يتجرد من صفات العالم الوقور .

**رابعا :** بان قول الكسائي لسيبيويه ( لحت ) بعد ان يقول سيبيويه ( فاذا هو هي ) — كما جاء في نص المسألة — وقوله : « ليس هذا من كلام العرب ، والعرب ترفع ذلك كله وتنصبه » فيه تناقض واضح ، لان سيبيويه حينما اوجب ذكر ضمير الرفع لم يكن لاحنا ، وانما كان ذاكرة لاحد الوجوهين على رأي الكسائي واصحابه ومن رتبهم لتأييد رايه ، فكيف يجوز ان يقول له ( لحت ) ثم كيف يتلام ذلك مع قوله : والعرب ترفع ذلك وتنصبه ؟

**خامسا :** وبان مسارعة الكسائي الى ذكر الواقفين بباب الامر ومدهجم وتعنهم بصفة الامانة والثقة الرضى من البصريين والكوكيين دليل على ان الكسائي خان قد تأخر عن صاحبيه ( خلف والقراء ) ليعد العدة للقتاء على سيبيويه وشهرته ، ومن ادرانا بان الواقفين بباب الامر كانوا على تلك الصفات التي ذكرها الكسائي؟ وفي اسراع الامر الى اجابة ما طلبه الكسائي دون ان يتحرى الامر او يعرف حقيقة الواقفين من الصدق

أحد علماء تلك المدرسة البصرية المبرزين ، والمشهود لهم في النحو واللغة (٨)

وإذا كانت بعض المناظرات قد جاءت نتائجها على خلاف الحق والواقع بسبب تلك الظروف السياسية أو الاجتماعية ، أو الخلفية أو الخلفية التي أشرنا إليها في مناظرتي سيبويه مع الكسائي وأصحابه أولا ، ثم مع الأصمعي ثانيا ، فإن كثيرا من المناظرات النحوية واللغوية كانت جدلا عقليا ونظريا منطقيا يهدف إلى إبراز الحجة وإقامة الدليل ، وترجيح مذهب على مذهب من أجل نشر العلم والثقافة اللغوية والاصول النحوية ، كذلك التي حدثت بين البصريين والكوفيين في عاقل الرابع في المبدأ ، وهل هو معنوي أو لفظي ؟ كما جاءت على لسان ( أبي عمر الجرمي ) من البصريين ، و ( الفراء ) من الكوفيين :

يقول الفراء في مناظرته للجرمي : أخبرني عن قولهم : زيد منطلق ، لم رفعوا ( زيدا ) ؟ فقال الجرمي : بل لا بد . فقال الفراء : ما معنى الرفع ؟ فقال الجرمي : تعريبهم عن العوامل . فقال الفراء : فأنظره . قال الجرمي : هذا معنى لا يظهر . قال الفراء : فمثله إذا . قال الجرمي : لا يمثله . قال الفراء : ما رأيست كالقوم عاقل لا يظهر ولا يمثله .

ثم جاء دور الجرمي في المناظرة ، فقال : أخبرني عن قولهم : زيد ضربته ، لم رفعته ( زيدا ) ؟ فقال الفراء : بالهاء العائدة على ( زيد ) . قال الجرمي : الهاء اسم فكيف يرفع الاسم ؟ فقال الفراء : نحن لا نهالي من هذا ، فانا نجعل كل واحد من الاسمين اذا قلت ( زيد منطلق ) رافعا لمصاحبه ، فقال الجرمي : يجوز أن يكون كذلك في ( زيد منطلق ) لأن كل اسم منها مرفوع في نفسه ، فجاز أن يرفع الآخر ، أما ( الهاء ) في ( ضربته ) ففي محل نصب ، فكيف ترفع الاسم ؟ فقال الفراء : لا ترفعه بالهاء ، وإنما رافعا بالمعاند على ( زيد ) فقال الجرمي : ما معنى المعاند ؟ قال الفراء : معنى لا يظهر ، قال الجرمي : اظهره . قال الفراء : لا يمكن اظهاره . قال الجرمي : فمثله قال الفراء : لا يمثله . قال الجرمي : لقد وقعت فيها فمتر منه (٩)

وإذا تصفنا كتب اللغة والروايات والأخبار

الأصمعي بأنه لم يكن الفائز في مناظرته على سيبويه ويقر الأصمعي بذلك في مرضه الذي مات فيه ، ولولا المرض الذي فقد معه الأمل في الحياة لأصر على انكاره ، ولما اعترف بمقدرة سيبويه ، ويقول في ذلك أبو حاتم السجستاني : « دخلت على الأصمعي في مرضه الذي مات فيه .. فقلت : حدثني بما جرى بينك وبين سيبويه من المناظرة ، فقال : والله ، لولا أنني لا أرجو الحياة من مرضي هذا ما حدثتك » ثم قص عليه ما كان بينه وبين سيبويه من المناظرة في المسجد حول أبيات ذكرها سيبويه في كتابه ، ففسرها الأصمعي على خلاف ما فسرها سيبويه وخطأ سيبويه ، فأقيمت فيها تلك المناظرة في المسجد الجامع ، ويعترف الأصمعي صراحة بما جعل الناس يفضلونه على سيبويه ، ويؤيدون وجهة نظره ، فيقول وهو يحتضر : « ورفعت صوتي ، فسمع العامة فصاحت وتظروا إلى لكتته ، فقالوا : لو قلب الأصمعي سيبويه ، فسرني ذلك .. » وكانهم يلهون ذلك للمصاحبة الأصمعي ، لأنهم كانوا يظهرون لمصاحبه صوته ونبرات حديثه وفصاحته لسانه ، فما كان من سيبويه إلا أنه نفخ يده في وجه الأصمعي وبقي وبعبق الأصمعي على ذلك بقوله لأبي حاتم السجستاني : « يا بني ، لقد نزل بي منه شيء وددت أنني لم اتكلم في شيء من العلم » وهذا يدل بوضوح على أن الأصمعي أنها تفوق على سيبويه في مناظرته بلسانه وفصاحته بلسانه ، وأنه لم يكن على حق ، كما أن سيبويه لم يكن بخطئا فيها قاله ، وإنما خافه الحظ بسبب تلك اللقطة التي كانت تعقد لسانه في مناظرته . وهذا هو الراسي يقول في ذلك : سمعت عمرو بن مرزوق يقول : « رأيت الأصمعي وسيبويه يتناظران ، وهذا يغلبه بلسانه في الظاهر — يعني الأصمعي » (٧)

\*\*\*

وتلك المناظرة التي قامت بين سيبويه والأصمعي تدلنا على أن المناظرات النحوية أو اللغوية لم تكن وقفا على الخلاف بين علماء المدرستين البصرية والكوفية ، فقد كانت تحدث بين علماء المدرسة الواحدة أحيانا ، كما حدث هنا في تلك المناظرة ، فقد كان سيبويه رأس المدرسة البصرية آنذاك ، وكان الأصمعي

# حقيقة المناظرات النحوية واللغوية

بقلم الدكتور / عبد الحميد السيد طلب

انه سمع اعرابية تقول : ( الا في السوء ائتن ) تريد  
( السوء ) فطرحت الهبة ، فاخذ المبرد ياتي بالحجة  
تلو الحجة وبالدليل بعد الدليل وكان آخر ما قال :  
« لا يترك كتاب الله واجماع العرب لقول اعرابية  
رعشاء » (١٢)

وعاش البصريون والكوفيون في بغداد في مناقشات  
ومناظرات لا تنتقطع ، ولا تحصى ، فكان ذلك سببا  
في جذب انظار الدارسين الى الدراسات النحوية  
واللغوية ، وفاضت كتب الطبقات والاخبار والروايات  
بسيل من المناظرات بين الجانبين لا يتسع المقام  
لذكره ، وارجو ان تكون لي عودة للاعاسة فيه .

دكتور عبد الحميد السيد طلب

اسناد النحو والصرف بجامعة الكويت والقاهرة

•••••

- (١) طبقات الشعراء ص ١٠٩ ، وطبقات النحويين واللغويين ص ١٨ ،  
والنهرست لابن النديم ص ٦٠ ، وفصحى الاسلام ج ٢ ص ٢٨٦ .
- (٢) بغية الوعاة ج ١٦ ، والمزهر للسيوطي ج ٢ ص ٤٥ .
- (٣) الانصاف في مسائل الخلاف لابن الانباري ج ٢ ص ٧٠٤ ، ٧٠٤  
مسألة ٩٩
- (٤) انظر في هذه المسألة مفتي اللبيب لابن هشام ص ٨٨-٩٢
- (٥) الانصاف في مسائل الخلاف مسألة ٩٩
- (٦) معجم الانباء ج ١٦ ص ١٢٥ ، ونزهة الالباء ص ١١٢-١١٣
- (٧) نزهة الالباء ص ١١٣
- (٨) تاريخ النحو واصوله لصاحب المقال ج ١ ص ٨٧
- (٩) الانصاف ج ١ ص ٩٩ ، مسألة رقم ٥ ، والقرآن الكريم واثره  
في الدراسات النحوية للدكتور عبدالعالم سالم ص ١٤١
- (١٠) مراتب النحويين ص ٧٨
- (١١) ابو علي الفارسي للدكتور شلبي ص ٤٤٤ نقل عن مجلس  
اللغويين والنحاة ، والقرآن الكريم واثره في الدراسات  
النحوية للدكتور عبدالعالم سالم ص ١٤٢
- (١٢) المنخفضة : اية ٤
- (١٣) ابو علي الفارسي ص ٤٤٤ ، والقرآن الكريم واثره في الدراسات  
النحوية ص ١٤٢

•••

وجدنا كثيرا من هذه المناظرات ، ويبدو ان هذه المناظرات  
بين علماء المدرستين قد لفتت انظار البغداديين الى  
البصريين بخاصة ، وزادت من قيمتهم وعلو شأنهم  
فيها بعد ، حتى ان الخلفاء العباسيين وفي مقدمتهم  
الخليفة ( الواثق ) كانوا اذا عرضت لهم مسألة  
نحوية او لغوية ارسلوا الى علماء البصرة ليستفتوهم  
فيها ، وكان ( المازني ) وهو احد علماء البصرة  
المبرزين اظهر من استفتى في عهد الواثق على الرغم  
من وجود علماء الكوفة في بغداد في ذلك الوقت ، وقد  
استحسن الواثق رايه وامر له بمطاء كبير (١٠) .

وقد ظلت المناظرات تسير في مجراها بين الفريقين  
في بغداد وخارج بغداد حتى وصل الى بغداد زعيمنا  
المدرستين في النحو ، وهما : ثعلب ، زعيم المدرسة  
الكوفية ، والمبرد ، زعيم المدرسة البصرية ،  
فقامت بينهما مناظرات شغلت الأذهان في المجتمع  
البغدادى فترة حياتهما ، وقد ظهر من خلال مناظراتهما  
بذهب المدرستين واضحا ، فالمدرسة الكوفية تغلب  
عليها في منهجها واصولها الرواية والسمع ، والمدرسة  
البصرية يغلب عليها في منهجها واصولها المنطق والفلسفة  
وقد تجسلى ذلك في كثير من امثلة المناظرات التي  
دارت بين ثعلب والمبرد .

ومن ذلك ما حدث من مناظرتها في مجلس الامير :  
محدث بن عبدالله بن طاهر ، فقد سأل المبرد ثعلبا  
عن هبة ( بين بين ) اسأكنة هي ام متحركة ؟ فقال  
ثعلب : لا ساكنة ولا متحركة ، فقال المبرد : قوله :  
( لا ساكنة ) قد اقر انها متحركة : وقوله : ( لا متحركة )  
قد اقر انها ساكنة ، فهي ساكنة ، لا ساكنة ،  
ومتحركة ، لا متحركة (١) وبالطبع لم يستطع ثعلب  
ان يرد حجة المبرد .

وفي مناظرة اخرى بين ثعلب والمبرد في مجلس  
الامير محدث بن عبدالله بن طاهر ايضا ، سألها الامير  
عن قوله تعالى : « اذ قالوا انا براء منكم » (١٢) كم فيه  
لغة ؟ قال المبرد : ( مُرَّاء ) على مثال ( كرماء ) ،  
و ( براء ) على مثال ( كرام ) فقال ثعلب : و ( براء )  
ايها الامير ( اي بدون هبة ) . فسأل الامير المبرد  
فيها قاله ثعلب ، فقال المبرد : ايها الامير ، سله من  
اين ؟ فسأله ، فقال ثعلب : حدثني سلمة عن الفراء ،

# الأهداف السّياسيّة

## وراء محاربة اللغة العربيّة

ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhr.it.com>

الدعوة للعامية ، قضايها واغراضها

بين الثرى والثرى ، من حيث النضج اللغوي الحضاري والاكتمال الفني — من ناحية . وان العامية ، لىدى سائر الشعوب منذ تكونت وحتى الآن ، ملازمة للغة الفصحى ، من ناحية ثانية ، لان هذه العامية اداة الحديث اليومي العادي المنحط عن الفصحى التي تمثل السرى اللغوي لهذا الشعب او ذاك . كما انها — من ناحية ثالثة — ليست لهجة واحدة لدى الشعب الواحد ، بل هناك عدة لهجات تختلف في قربها وبعدها عن الفصحى من قوم الى قوم ومن زمن الى آخر ، بل ومن وسط الى ثان : فالحديث اليومي المتعارف عليه بين التجار هو غيره لدى فئة الفلاحين والمتقنين ، وحتى هذه الفئة الاخيرة يختلف أسلوب حديثها وتراكيب جملها وعباراتها بحسب اتجاهها ونوع ثقافتها ، فكلّام الادباء عابة هو غير كلام الاقتصاديين ، وهكذا بقية الفئات والجماعات الاخرى ، وعلى الرغم من وجود لغة فصوى واحدة تجمع بينهم .

وهذه الحال التي تنطبق على جميع الامم ، نجدتها واضحة كذلك لدى امنا العربية . الا ان الفارق بينها

قد يكون من غريب الامور وعجيبها على المرء ، ان يقف على بعض الآراء التي اصبحت في عداد البديهيات ، واذا بها توضع في مضاف النظريات . ولكن الاثسد من هذا غرابة ان تكون الآراء المتولدة عن تلقى التبحل والتفصيل ، كشوغا في عالم النظريات المحضارية المحكمة . الا ان الاثسد غرابة من هذا وذاك ، ليس بالنسبة لنا فحسب ، بل بالنسبة لسائر شعوب العالم ، وللمعنيين منهم بدراسة آدابهم القومية خاصة ، ان يجدوا من يقف بينهم ، ومن ابناء جلدتهم ، ليعلمن بحجج واعية ومزاعم متداعية ، ان لغتهم القومية الحية والمكتبلة في كل جوانبها ، والتي بها دون تراثهم القومي باجمعه ، ولا تزال اداة كتابة نتاجاتهم الحاضرة كلها ، لم تعد صالحة مطلقا لتدوين واستيعاب العلوم والفنون كافة ، وانها باتت تشكل عقبة كاداء في طريق تقدّمهم الحضاري ! ، فبات عليهم ، لكي يجاروا هذا التقدم ، ان يتخذوا اللهجة العامية اداة لذلك ، باعتبارها — هي وحدها — الصالحة لهذه المهمة ( الحضارية ) ! .

مع ان البعد بينها وبين النصوى سو كالبسون

عن طريق ذلك الغرض من التجهيل بمأسيهم كله ، بما فيه من نتاج يشمل مختلف الجوانب والدعائم التي تقوم الحضارة عليها — من جهة — وانراغ نفوسهم من كل ما من شأنه ان يوطد الثقة بنفوسهم وامتهم ، والتي يركزون عليها في طخامهم على طريق النهوض والتقدم — من جهد ثانية .

ولعل خطورة هذا الامر لا تتضح بجلاء كاتساحها حينما تذكر بعمليات الغزو الفكري والنفسى التي لا يزال يشنها ضنا ، وبلا هوادة ، اعداؤنا الاستعماريون والصهاينة والحاقدون ، حيث لا يدخرون وسيلة الا وتوسلوا بها لغرض تحقيق ما يلي :

(١) اشباع عقولنا بالافكار الاوربية والاستعمارية المناقضة لمعتقداتنا ووجدنا ، والمفضية الى ان نكون ذيلا تابعا لهذه الدولة او تلك من دول الاستعمار العالمي ، تستغلقا كيفما نشاء ، من ناحية ، والى ان يسوول مجتمعنا الى بنية شبيهة بالمجتمعات الاوربية الغائبة عن طبيعة نظما الاستعمارية الشريرة وما تولد فيه من قيم وعادات وتقاليد وافكار — الى حد ما — هي والطبيعة الانسانية على طرفي نقيض ، من ناحية ثانية . هذا عن الجانب الفكري .

(٢) الجانب النفسى لعملية الغزو ، وهو السذي يستهدف الاستحواذ على نفوسنا ، والاستبداد بها من ثم ، عن طريق تحويل شكوكنا بانفسنا ، والتي يغرسها فيها في المرحلة الاولى ، الى الياس البات من امكانياتنا

بقلم  
هادي طعمه



في الوقت الذي يجب فيه لنا نماذج مما عليه بلدان اوربا وامريكا ( الاستعمارية ) من تقدم ، بحيث تكون مبنيا بها ، وبحيث يصح اعباها على سائر اوضاع واحوال تلك البلدان . الامر الذي يؤدي الى جعلها مثل الاعلى في الكمال — اول — وان يكون كل ما يصدر عنها قدوة للاخذ به دونما تريث او تحيس ، ثانيا .

وهذا بالضبط ما نراه طافيا على نغر غير قليل من ابناءنا . فغرامهم يتسارعون الى تقليد ما تتدف به طبيعة تلك النظم الاستعمارية سواء في اصناف الممارسات الحياتية للانسانية او في انماط السلوك الفج . ( اما ان يأخذوا عنهم العلوم ، والجدية والمثابرة والابداع العلمي والصناعي ، والحرص على تقدمهم ، فهذا ما لم نره الا نادرا جدا ) .

وبين بقية الامم الاخرى — بل لعله الفارق الوحيد بينهما — هو ان امننا تواجه منذ القرن التاسع عشر ولا تزال ، حربا شعواء على لغتها القومية الحضارية . حتى لكأنها قد كتبت عليها ان تحارب في كل شيء لديها ، وان تحارب على مائة جبهة .

ففي هذه الايام تزداد شراسة الدعوة الى الاخذ بالعالمية وسيلة للكتابة عوضا عن الفصحى ، وان تبدو انها لا تزال محدودة في نطاق القطر اللبناني ، من حيث حداثتها — اول — (١) ومن حيث المجاهرة بالعمل على الكتابة بها — ثانيا .

واذا صرفنا النظر عن مسألة تعدد اللهجات وتباينها في القطر الواحد — فضلا عن تعددها في كل من مدنه — فاننا نسأل : بآلة لهجة ستأخذ ؟ ، بلهجة العاصمة ام بلهجة مدينة اخرى ؟ ، وهل سنأمن وقوع الصدامات التي ستنتج حتى من التعصب المحلي من قبل ابناء كل مدينة في القطر الواحد ضد المدينة التي اقرت لهجتها ( لغة ) للكتابة والتحدث ؟ . وعلى افتراض انها رخصت ، فهل سيكون رضى عنها دائما ودون ان تتقبل بدائع من تعصبها المحلي للهجتها ، وشعورها بالغب ؟ . فاذ كان الجواب : لا يمكن طبعاً ، لما الذي سيحصل اذن ؟ ببساطة : المزيد من الفقرة والتزق لابناء الشعب الواحد ، والوطن الواحد ، بعد ان استطاع الاستعمار استغلال ظروف الجهالة والضعف والافوارع الشخصية ، لتجزئة وطننا العربي الواحد ، وان يغرس النزوع القطري فيه ، وفقا لمفوضيات سياسة « فرق تسد » .

ولنفترض اننا اتخذنا هذه او تلك من اللهجات المنحلة ، لغة بديلة عن الفصحى ، عندئذ نسأل : على اية صورة من صور الانحطاط اللغوي ، ستكون عابية تلك العامية التي اقررتا بها ؟ . وذلك بحكم ازدواجية كل لغة . ثم — وهذا هو المهم جدا — ما مصير تراثنا الزاخر كله ، وما مصير اجيالنا القادمة في دروب الحياة الحاضرة ، المخوفة والمقلبة ، حين يمسون بلا تراث يستريحون به ؟ .

ان من الحتم ان الاجيال الالية ، ستنقطع كلية عن معرفة تراثنا المجيد ، لان الاخذ بآلة لهجة معناه اقرار جريمة تجهيل — متعددة — لابنائنا القادمين ، بكل التجارب الغزيرة والخبرات العظيمة التي اودعها الابهاء والاعداد ، في حنايا الكتب وثناياها . ومعنى ذلك : ان نعدمهم لان يكونوا غرباء تالما عن كل ما حواه هذا التراث من معتقدات وافكار ونظريات وعلوم وآداب الخ . وبودي هذا هو افراغ عقولهم ونفوسهم معا ، من كل ما لديهم من اصول قوية ثابتة وحكمة تشدهم الى هذه الامة وتربطهم بهذا الوطن ، وبعبارة اكثر تبسيطاً : اننا نقوم بعملية « غسيل ادمغة » الاجيال الصاعدة



الباني احتلال وطننا العربي ، واذلانا ، ونهب خيرائنا ، من قبل الاستعمار البريطاني والفرنسي والإيطالي . الخ . كما انها وكبت الاحتلال طوال سني وجوده . ولا تزال بأثارها ودعائها باقية حتى الان ، بقصد الاستمرار في ترسيخ الفكرة بين أبناء الشعب الواحد ، بعد ان نكب بالانجزة السياسية — والفكرية — من ثم — التي اصطلحها الاستعمار بالذات ، بوحي من سياسة فرق تسد السيئة الصيت .

وبوحي من هذه السياسة الآتية ، اوجدت لهذه الدعوة المنابر الادبية والصحفية التي اوكل اليها مهمة تاييدها واعادة طرحها من قبل الكتاب ( العرب ) بغية ايهانا بان التهم الموجهة للعربية الفصحى ، انها هي ناشئة عن « شعور عربي خالص » !



رفاعة الطهطاوي

### البدائيات الاولى للدعوة

ان من المسلم لدى الدارسين لهذه الدعوة ، انها بدأت في بلدان اوربا الاستعمارية ، مع نمو حركة التبشير ونشوء الاستشراق . وان الهم الاكبر للكثرة الكاثرة من هؤلاء ، قد انصب على دراسة اللهجات العامية في بلداننا العربية ، وبخاصة منهم اولئك الذين عملوا في وزارات الاستعمار والذين وفدوا الى وطننا العربي قبل وقوع الاحتلال وبعدده ، وان الغاية الاكثر الحاحا — وتذكاً — كانت بقصد تعليم اللهجات انجليزية

وما هذا التقليد للقصور ، الا لان ذلك النفر خالي الذهن من اي جانب او فكرة عما لامته من مجد حضاري مبرق بنيت على خبراته وتجاريه الفكرية والعلمية ، اسس الحضارة الاوربية ، وما لحقها فيما بعد . وما ذلك ايضا ، الا لان هذا النفر يعاني من الخواء النفسي المريع الناجم عن عدم شعوره العميق بالارتباط بهذه الامة — شعبا ووطنا — وباللغاتي في حبه لها . وبالتالي في تنقيدها واعلاء شأنها وحفظ كرامتها التي هي كرامته . لذلك . نجدد لا يبالى بوجوده ووجود امته ، ومصيرها . ولا تعمد المحفز والوازع الذي ان توامر فيه . فلا يني بحثه ويدفعه دوما في سبيل بيعت ذلك الماضي المجيد ، او — على الاقل — من اجل تأكيد وجوده الانساني — هو — شخصيا .

ومثلها يصبح ذلك السلوك الامعي طبيعيا عند هذا النفر ، وللسببين المذكورين . كذلك يصبح سلوك الامة كلها ، فيما اذا كانت جاهلة بتاريخها واجادتها ومثلها العليا وقيمتها ومعقداتها ورسالتها . غير متميزة باعلامها البارزين وقادتها العظماء ورجالها السابقين . الخ . وبغيا اذا كانت لا تملك . او لا تريد ان تملك — ارادة بيعت مانسها واداء رسالتها . . كما لا تشجع بشعور عميق يقيم نفسها بالثقة في قدراتها ويجعلها دوما نحو تأكيد ذاتها الانسانية المفردة ، كما تفعل بقية الامة ، وكما هو طبيعتها حتى ولو لم تكن ذات مجد مبرق في الحضارة . ان امة كذلك ، تعاني من هذه الامراض المدمرة ، وتواجه في الوقت نفسه غزوا فكريا ونفسيا لا هوادة فيه ، سوف نجدها واتمة : — لا محال — بتدريج من الانتدار في البرائن نفسها التي انساق اليها ذلك النفر المقلد للقصور الاوربية . ومن النشأت ان مصيرا مهينا كهذا ، لا يرتضيه حتى بعض فصائل الحيوانات التي هو دون منزلة الانسان ( ولا شك ! ) فكيف بالانسان ؟! ان هذا كله ، جانب واحد فقط من المخاطر الكامنة وراء الدعوة الى استعمال العامية لغة ! للكتابة والتدوين . ومنه يتبين بجلء — لكل ذي بصيرة واحساس — مدى خطره المطلق على وجود الامة العربية .

اليست غريبة وعجيبة هذه الدعوة اذن ، في مبدائها وغايتها ، وفي امر دعائها ؟ ولكن هذه الغريبة سرعان ما تزول اذا عرفنا — اضافة لذلك — ان تلك الدعوة منذ ظهرت في بداياتها الاولى ، كانت مدفوعة بغواء العدا السياسية والحقنق الاستعماري ، وان ظهورها كان مرافقا للتهديد الطويل



حتى يتلوع دعائها لاشعالها مجددا قبل انطفاء جيرانها .  
ووجه الغربة والذهشة هنا ان باعنى هذه الحرب ،  
هم رجال من بيننا ، مثقفون واعون ، واذكياء مدركون ،  
على ان الذي يبدو لنا من خلال استقراء حركة  
هذه الحرب على مدى بضعة عقود ، والتي اقترنت  
شراستها بانساع رقعة حركة التحرر العربي - او  
بانفجارها - ضد السيطرة الاستعمارية ، انها ستظل  
قائمة ما بقي هناك استعمار ، وما بقي له من نفوذ  
على عقول ونفوس بعض منا .

وما ذلك ، الا لان اللغة تحمل في ثناياها امضى  
سلاح في وجه الحرب الفكرية الاستعمارية الرامية  
الى تذيب وجودنا في ركاب الفللة والخنوع للبلدان  
الاستعمارية . فلقد كانت اللغة ولا تزال وستظل ، من

المتعددة للفتائل الاوربيين ، والجواسيس ، الذين  
اوغفوا خصبها الى بلادنا .

وبعد ذلك ، كانت متطلبات الالام باحوال المنطقة  
الفكرية والاحاطة باوضاعها الاجتماعية والسياسية  
وكافة جوانبها ومعتقداتها الاخرى ، توجب دراسة  
العربية الفصحى . لا سيما وان جزءا كبيرا من وطننا كان  
تابعاً للدولة العثمانية التي كانت هدفا لبلدان اوربا  
ومحطاً لطماعها الاستعمارية .

وليس يخاف ان هذا الاهتمام البالغ باحوال المنطقة  
واوضاعها ، انها كان يدور اساسا في دائرة الاحاطة  
بوضع ( العدو ) ، باعتباره المقدمة الضرورية لمباشرة  
الحرب العسكرية ضده ، وكما هو معروف عن مجريات  
الحرب العالمية الاولى وما اسفرت عنه .



عبد العزيز فهمي



احمد لطفي السيد

اتوى الروابط القومية ، والتي تسهر قومها في بوتقة  
واحدة من الشعور والمعتقد والعمل .. الخ .. بوتقة  
الاتصاف بالامة عن طريق تمثيل ماضيها واستيعاب  
حاضرها والتغالي في بنائه ، وتشديد دعائم مستقبلها .  
ان اول مسا يترتب على ذلك ، لدى اي شعب  
ممزق في دول مصطنعة كشمعنا ، هو احباط مخطط  
( فرق تسد ) والاجهاز على عمليات الفسزو الفكري  
والتبشير الثقافي الذين يبذل من اجل تحقيقهما  
الاستعماريون والصهاينة الجهود المضنية والاموال

ولعله لم يكن غريبا ان يسبق هذا النشاط المحموم  
ضد اللغة العربية ، اشتعال الحرب الاولى ، بتقدير  
غريبة عدم سبقه لهما .

وعلى هذا القياس نفسه ، وتبعاً لمرامي الحركة  
الاستعمارية ، لم يكن غريباً علينا ان نشعب الحرب  
على لغتنا وان يستمر اوارها قبيل انفجار الحرب  
الكونية الاولى ، وان يؤجج لهيبها في اكثر من بلد عربي  
بعد وقوع الاحتلال . ولكن الغريب والمدهش حقاً ان  
تستمر هذه الحرب حتى الان . فما تكاد نخبو نارها





كانت ، في مدى ربع قرن تقريبا ، من تأليف المستشرقين انفسهم الذين حلوا في الوطن العربي . ناول كتاب لهؤلاء هو « قواعد العربية العامية في مصر » لمؤلفه الدكتور ولهم سبيتا ، وهو مستشرق ألماني ، عمل مديرا لدار الكتب المصرية ، والثناء ذلك اصدر كتابه هذا في عام ١٨٨٠ . ويعد هذا المؤلف محاولة عبثية لوضع «قواعد» اللهجة العامية المتداولة في القاهرة يومذاك . وقد اعترف مؤلفه صراحة بأنه وجد لكل حي لهجة تختلف عن لهجات الاحياء الأخرى ، كما صرح بالصعوبة البالغة التي تقف في طريق من يحاول الايام بهذه اللهجات ، فضلا عن استحالة وضع قواعد لها يمكن ان توجد بينها .

ومع ذلك ، فإن صدوره ، يعد بداية الحيلات الشرسة التي وجهت ضد اللغة الفصحى ، وخاصة منها تلك التي قامت بها مجلة ( المتكلم ) عام ١٨٨١ مؤيدة دعوة ولهم سبيتا ، ولكن مع اغفال اسمه ، بقصد ان توهم أبناء العربية عامة ، وعرب مصر خاصة ، بأن الشعور بالثمن الموجهة ضد العربية بكونها عاجزة عن النهوض ! بالشعب والوطن ، علميا وصناعيا وادبيا ، وبكونها العنصر الكادئ الذي تعترض ذلك ، انما هو شعور عربي أصيلا .

ومنذ ذلك الحين ، بدأت سلسلة الكتب التي تدور حول الموضوع نفسه ، والتي بذل مؤلفوها ، الجهد لتقادي نواقص من سبقهم . ولهذا اعتبر كتاب ولهم سبيتا ، تجربة رائدة يجب اغناؤها ، وقد اثنى عليه كل من تبعه ، من مثل : الدكتور كارل فولرس — وهو مستشرق ألماني ايضا ، وعمل كذلك مديرا لدار الكتب المصرية — وذلك حين اصدر كتابه في هذا الخصوص عام ١٨٩٠ .

ويعد احد عشر عاما من هذا التاريخ ، اخرج المستشرق الانجليزي سلدن ولور — وقد كان يعمل قاضيا في المحاكم الاعلية بالقاهرة — كتابه عن العامية المصرية ايضا .

وفي عام ١٩٢٦ طبع المستشرق الانجليزي ا. بول بالاشتراك مع دي. سي. فيلوت استاذ اللغات الشرقية في جامعة كمبريدج وجامعة كلكتا ، كتابهما عن الموضوع نفسه . والجدير بالتنويه اليه هنا ، هو ان المستشرق الاول كان قد عمل كذلك في قضاء المحاكم الاعلية بالقاهرة .

وفي خلال الفترة التي ظهرت فيها هذه المؤلفات كان ولهم وبلوكوكس مهندس الري البريطاني الذي وفد

المطالبة ، بهدف ربطنا الى عجلة السيطرة والاستبعاد الاستعماري ، من خلال ائتمن الوسائل وانفس السبل : عبر الفتوات الفكرية والثقافية التي يطل منها الاستعمار الحديث .

وان اي استقلال سياسي لاي بلد من بلدان العالم ، لا يمكن ان يكون تابا ناجزا ما لم يرافقه استقلال ثقافي تام بعيد عن كل مؤثرات الدوائر الاستعمارية . وفي نقبش ذلك ، او عدم تهايه ، يفقد هذا الاستقلال اهم مقوماته الاساسية .

### ابرز دعاء العامية الاوائل

واذا تركنا هذا التحليل المقتضب لما يراد بابنا من خلال تلك الدعوة ، وانتقلنا الى ما يمكن تسميته بالوثائق التاريخية ، لانضحت تلك الغايات الشريرة بصورة لا يمكن ان يختلف عليها اثنان



فهذه الدعوة التي وجدت من يؤلف لها من العرب ! في عام ١٨١٢ — كتابا يحاول فيه جيع شيء من المفردات والقواعد !، انما كانت خاضعة لتأثير اجواء الاستشراق والتبشير . وتحت تأثير هذه الاجواء ذاتها صدر اول مؤلف ، في اوربا . وتحت هذا التأثير نفسه ، صدر اول مؤلف عن العامية في الوطن العربي . وذلك حينما طبع رفاة الطهطاوي كتابه المسمى ( انوار توفيق الجليل ... ) بالقاهرة عام ١٨٦٨ بعد عودته من اوربا . ولكن الدراسات والكتب الاخرى اللاحقة ،



فان استمرارتنا في استعمال الفصحى ، لا يمكن ان يؤدي الى نمو ادب حقيقي قابل للتطور ، كما لا يؤدي الى تقدمنا حضاريا !

هذا مجمل الخطوط التي يعتد بها هؤلاء المستشرقون في دعواهم ودعوتهم تلك ، وما زالت هي نفسها مزاعم كل من يريد التصدي للفصحى ، ارادة اقتسامها عن الكتابة والتدوين واحلال العامية محلها ، او اللاتينية او الفينيقية مؤخرا ، وكلها يريد لاحداها الظهور من قبورها .

ونحنسب ان ليس ثمة اسهل من الرد على هذه المزاعم وتفنيدنها ، وخاصة بعد ان اسمعها جيل الرواد الإبرار فضحا وتعرية في اوائل هذا القرن . غير اننا نكتفي بالقول : انه ما دام ان اللغة — اية لغة — هي من نتاج الانسان وللتعبير عن حاجاته . فهي ملوغ قدراته العقلية دائما وايدا ، وليس العكس . فاذا كانت قدراته هذه خاملة او هابطة ، فلن يتنها له ايكال التعبير بها الا بقدر ما ترسمه تلك القدرات . ولن يقتض له ايكال الإبداع والاختراع في المجالات الأخرى . كما لا تنفوق له القدرة على التعبير عن مكونات نفسه وخبرات عقله ، حتى باللهجة العامية . وهذا ما هو ثابت وواضح . وشأن الايام العالم كلها ، في مختلف الدوائر والامم . وهو بين غفنا اليوم . ومحاولة التفتيش الى هذه المسئلة للظهور ، نكتفيها مراجعة بسيطة لنموجين من مواطنينا ، حين يحدثنا عن شيء ما حتى ولو كان من الأشياء اليومية العادية ، فنجد احدها يعبر عن ذلك بطلاقة ووضوح ، بينما يظل الآخر متجلجلا ، وقد يطيل في التعبير الى حد الامال ، ولكن صورة ما يريد التحدث عنه ، نظل مرتبكة . ويرد هذا — بداهة — الى الايكاتية العقلية لكل منهما ، لا الى اللغة .

والذي ينبغي وضعه نصب بشارتنا دوما ، هو ان هذا الجهول العقلي الذي نعاني منه الان بدرجات متفاوتة ، كان اشبه بالجهول العقلي ايام فنيان تلك الدعوة ( اواخر القرن ١٩ واوائل القرن ٢٠ ) ايام اتهمت الفصحى بالجهولة دون تقديمها ، فكيف يطلب من هذا الانسان الخالد عقليا ، ان يدخل عالم الاختراعات اذا هو لم يملك ناصيتها ؟! فاذا املك المرء هذه القدرة العقلية ، تكون اللغة قد اصبحت بالبدية طليعة في يديه ، سهلة المنال في كل وقت ، من قبل ان يلج عالم المخترعات .

وهذا ما نجد برهاته في تقدم العلوم وتطور الافكار ورتقي الفنون العمرانية والهندسية الأخرى .. الخ ..

الى مصر سنة ١٨٨٢ في اول عهد الاحتلال البريطاني في مصر ، لا يني عن محاربة الفصحى بالدعوة الى اقتسامها من ميدان الكتابة والادب ، واحلال العامية محلها . تلك الدعوة التي لم يدخر وسعا في تأييدها ، ايدها عمليا بها لغة بالعامية ، كما ترجمه اليها ... وايدها نظريا في محاضرة بعنوان ( لم توجد قوة الاختراع لدى المصريين الان ) وقد عزا السبب — بالطبع ! — الى الفصحى . وكما ايدها في كتابات اخرى ، كذلك حدث وشجع على التآليل بها عن طريق منح الجوائز المالية .

ومن خلال هذه الكتب والدراسات ، وفشرون ومقاصد تأليفها ، نقف « على منبع الدعوة الى اتخاذ العامية لغة للكتابة والادب » وعلى منبع الدعوة الى استبدال الحروف العربية بالحروف اللاتينية ، وعلى مصدر الشكوى من صعوبة العربية الفصحى التي يتأثر على القضاة عليها « اعداؤنا الاستعماريون . وريادة في ايهامنا وتضليلنا بتهنقيات تلك الدعوة ، فقد وصلنا مؤلفاتها « منسفرة تحت ستار البحث العلمي ... ! » وهذه الكتب ليست الا عينات مما كتب عن العامية والفصحى وفقا لذلك الهدف ، كما ان هؤلاء المذكورين ليسوا هم كل من دعا الى العامية واللاتينية بجديل عن الفصحى ، بل هنالك كتابات غيرها لكتاب ( عرب ) تحسبوا للدعوة وحضوا على التأليل لها وتأييدها . امثال احمد لطفي السيد وعبدالعزیز قهبي وسلامة موسى ولويس عوض واسكندر الملووف واسعد داغر .. الخ .

### مجمل الخطوط العامة للدعوة

تكاد تنحصر دعوى هؤلاء جميعا في التشكي من صعوبة العربية الفصحى ، تعلما وكتابة ، حيث يقع على الكتابة بحروف الهجاء العربية « اكبر قسطن من اللوم » في تخلفنا ! هذه واحدة . والثانية : في ان اللغة العربية هي اساس تخلفنا الحضاري .

واقترحوا جميعا عدة امور ، اما ان نكتب بالعامية المحلية لكل قطر على حدة — وليس هناك عامية واحدة كما هو معروف . في اي قطر من وطننا سواما ان نكتب عابثا باللاتينية . او على الاقل ان نكتب الفاظ لغتنا الفصحى بهذه اللاتينية ، ان لم نوافق على ذلك . فاذا اينسا ، فنحن امام التخير التالي « كم يكون الامر سهلا لو اتيح للطلاب ان يكتب بلغة — ان لم تكن هي لغة الحديث الشائعة ( اي العامية ) — فهي على كل حال ليست العربية الكلاسيكية القديمة .. ! » . والا ،



مشاعرهم المتبادلة ، كما يترجمون مطالبهم وتطلعاتهم ، ويحددون اهدافهم ويرسومون مستقبلهم ، غيثيون حضارتهم .

ومن غير اللغة الفصحى ، لا يتم لنا شيء من ذلك ، الا بصورة شوهاء مقبلة . ونهيب عندئذ امة ببنوة الاصول . ولذلك فان « اهم شيء بالنسبة للجيل الجديد هو ان يعرف كل ما سبقه ، وبعد ذلك يتصرف كما يشاء . واطهر شيء بل اكبر مصيبة هي ان يجهل الجيل الجديد ما سبق ، فيتصرف بما يشاء في طريق الجهل المظلم » بتعبير توفيق الحكيم . هذا من ناحية .

ومن ناحية اخرى ، نفع اننا نستعمل اللغة الفصحى بدرجة عالية - وفي عموم الوطن العربي - الا ان ايسا ما يجد صعوبة في التفاهم مع ابناء الاقطار الاخرى . بل حتى بين ابناء القطر الواحد - في بعض اقطارنا - كما هو الحال عندنا في العراق ، فانباء ميسان ( العمارة ) لا يمكنهم التفاهم مع ابناء نينوى ( الموصل ) الا بشق الانفس . ولكن هذا التفاهم يكون سهلا جدا فيما اذا اعتدنا اللغة الفصحى . ولكن بهجر الفصحى واحلال العامية محلها ، يصبح التفاهم بين جماهير الاقطار العربية ، ضربا من المستحيل ، ولا يمكن التغلب على هذه الحالة ، الا بوجود من يترجم لهم ( كما هو الحال بين الاجانب ) فكيف يمكنهم التلاحم في محاربتهم التحرر ضد الاعداء ؟! مثلا .

وفضلا عن تلك الظروف السياسية التي تبعث خلالها الدعوة للعامية ، فانها بدت وبدأت - منذ مطلع هذا القرن وحتى الان - تقتزن بمحاولات بعث الحضارات القديمة التي كانت قاتلة يوما ما على ارضنا العربية ، ثم بادت منذ ثرون عديدة ، مثل : الفينيقية والفرعونية التي يجري الان - بالذات - احيائها في كل من ج.ع.م ولبنان ، وبحيث جعل اصحابها يمثلون جهارا ، ان ليس ثمة سلة لذهين القطرين بالعرب والعروبة . وهكذا امر بقية الحضارات الاخرى التي يعد لنشرها بصورة هادئة وخفية . وذلك بقصد تزريق روابط العروبة وتقليل اواصرها ، وتحويل شعبها الى اشلاء متناثرة لا حول لهم ولا قوة . هذا غفلا عن سريان الجثث القاتل باوربة حياتنا كلها .

ونحسب - بعد ذلك - ان ارامي الدعوة الاثنية هذه قد وضحت بلا اشكال او سؤال لمستزيد . ولكن ثمة ما يستدعي ذكره لي جانب ما سبق ، وهو ان اعادة طرح هذه القضية المخلعة ينبغي اشغال ابناء العروبة بالرد على تهويلاتها ، وبالتالي صرفهم عما يجب ان

على ايدي علمائنا القدماء الذين ارسوا بها دعائم تراثنا الحضاري الزاخر الذي قامت عليه حضارة اوربا وغيرها فيما بعد .

ولقد يكون من نافلة القول ان نذكر ان اية لغة لن تقف حاللا في وجه تقدم شعبها ما دامت - هي - من صنعه - هو - للتعبير عن حاجاته . ولكن علة عدم التقدم تكن في قدرات الانسان ذاته . ولو كانت علة التخلف في اللغة ، لكان من المضحك ان نطالب دعاء العامية بان يدلوها على لغة ما استطاعت ان تختزع في ذاتها دبوها صغرا . بل لقد يكون من قبيل الهزل والتهمك ان نطلب من بعض الذين يمارسون العامية ويدعون لها منذ ما لا يتقل عن ربع قرن ، ان يقدموا لنا اخراصا عليها واحدا ، عن طريق استعمالهم العامية .

### ظروف ظهورها ، واقتنائها بعث الحضارات المبادة

ان ظهور هذه الدعوة ، كان ولا يزال يقتزن باهين من احوالنا السياسية . الاول : حالة تهويد الدوائر الاستعمارية لاقتراف جريمة ما ، ضد الامة العربية ، والثاني : في حالة تهليل حركة التحرر العربي او نهوها واتساعها ، مثلما حدث قبل احتلال فلسطين ، وقبل الحرب العالمية الاولى ، وفي اعقاب السيطرة على البلاد العربية (٢) . وكذلك في اعقاب نشوب كل ثورة ، وفي اي قطر ، وعلى الاخص في عام ١٩٥٦ وما بعده وعام ١٩٥٦ وما تلاه . وائر قيام الوحدة بين مصر وسوريا عام ١٩٥٨ ( ذلك الوليد الحبيب الذي طُال انتظاره ) وما زال يفتش ويثر افق ماكنها وحضيا نفوسنا ) . وفي اعقاب قيام ثورة العراق في العام نفسه . وحيث اننا لا نريد الاطالة ، ولسنا بمسد تقديم احصاء دقيق كلية ، فاننا نكتفي بما يدور الان في هذه الظروف العمسية التي نتجازها ايمنا وهي تواجه محنة ( البقاء او الفناء ) منذ حزيران الشؤم سنة ١٩٦٧ .

وتبسيط ذلك في انه : كلما وقع جزء من البلاد العربية تحت ضربات الاستعمار الفاشم ، تكاثرت عليها سكاكين الحاقدين ، وكلما نهض جزء من محسة ، او انتفض على قيود الاستعمار ، تحذفت السكاكين مجددا ، وشهرت نحو رقية الامة باغية ذبحها ، يقطع رأسها الفكر والمدير ، والمثيل بترائها ، وغير لغتها . ذلك ان اللغة ، وعاء الحضارة والتكوين المثلر لكل امة من امة الارض . بها يتواصل السلف والخلف ، وبواسطها تنتقم عقولهم ، وتقم نفوسهم ، وتزدهر حياتهم الثقافية والعلمية وعن طريقتها يطلعون على افكار بعضهم ويتحسسون



### وادابها القومية .

وإذا كتبنا لا نريد ان نذهب بعيدا ، فهؤلاء الغزاة الاسرائيليون اقرب مثل الينا ، يبعثون الحياة في لغتهم التي ماتت منذ ما يزيد على الالفى عام ، والتي لم يعد يعرفها الى وقت قريب ، سوى نفر قليل من الحاخامين .

واكثر من هذا ، قد ذهب الحرص الشديد في الحفاظ على النطق السليم بالعبرية ، الى ان تصدر بعض الهيئات الاسرائيلية صفحتها اليومية او الدورية ، وهي مشكولة الكلمات ، بحركة الحروف . وذلك تنشبا مع سعيهم السدائى الى ايجاد الوحدة بين خليط المستوطنين الذين قدموا من شتى بقاع الارض ، عن طريق احلال وحدة اداة التناغم فيها بينهم ، وبلغتهم التراثية التي ورثوها عن قدامهم ، لا بلغة اجنبية اخرى . وما ذلك الا لاجل تفتين اواهر الترابط والانصهار ، ولجل ان يغفلوا على الصعوبات القاتلة في وجه تهم بعضهم بعضا . الخ . .

ولنا في الامم الاخرى ، مثل اخر . هؤلاء الانجليز والسوفييت والفرنسيون ، والالمان بطرفيهم الشرقي والغربي ، كل لغة منها تسمى الى نشر لغتها القومية بين ابناء الامم الاخرى ، عبر كل المجالات والوسائل الممكنة . صحافة ومعاهد واذاعات وغيرها ، بصرف النظر عما يتطلبه هذا العمل من نفقات باليعة وبذل للجهود ، وبعض النظر عن المردود الفعلي السريع .

ليس هذا لحسب ، بل ان بعض الامم — بمثلة بدوايرها المسؤولة — لا تسمح لابنائها بدراسة اي ادب اجنبي قبل ان يلوا بايديهم القومي ، وان يمثلوا مقاهيه ويستعملوا المفردات وتجاهاته .

ولعل في المناقشات والرودود الحامية القاتلة بين الانجليز والامريكان ، بسبب تحريف الاخيرين للغة الانجليزية ، اوضح مثل على مدى الحرص على اللغة من الانحراف عن لغة التراث الانجليزي ، من ناحية ، وواضح مثل — من جانب الايريكان — على تأكيد ذاتهم بايجاد لغة تميزهم شيئا ما عن الانجليز .

وهذه المانيا الشرقية والغربية باختلاف نظاميهما، تجددها يعملان على نشر اللغة الالمانية ، كل على نفقته وبوسائله الخاصة .

ويحدثني بعض اسدقاء لي درسوا في بلدان اوربا الشرقية ، وباعجاب ، عن مبالغة ابنائهم في الاعتزاز بلغاتهم الى الحد الذي تدفعهم فيه الى درسها حروف لغاتهم بصورة قريبة جدا من صورة حروف

يكرسوا له الجهد ، مما يعد لهم في دوائر الاستثمار والمسيونية من مصير مهين . فاذا وتمت الواقعة وحل بالامة انكسار اخر ، وقف مواطننا بذهولا من هول المفاجأة ، لاسيما وانه يواجه حرب الجبهات المسددة ، المختلفة الوسائل والاساليب ، والدوخة الموضوعات .

### العابية والفينيقيّة في لبنان

ان اول ما نلاحظه على ( استبعث ) الحياة في الدعوة للعابية في لبنان ، هو ان الانتباهات التي تثار بجدا ضد اللغة الفصحى ، لا تختلف في جوهرها زاهدانها عن تلك التي اثارها المستشرقون من قبل ، بأي حال من الاحوال . فمسعد عقل الذي نصب زعيها لهذه الدعوة ، ولبعث الفينيقيّة ، والذي رمد الابوال لتولير وسائل الطباعة باللانينية وتشجيع من ينشر بها ، او يبحث في الفينيقيّة ، مثلها ينفتح في روح ( اللبنة ) كما ينفتح في ( مَنَاقِة ) لبنان وعزله عن كبران العروبة ، مسعد عقل هذا وسائر مؤيديه ، وقف علانية ضد حركة التعريب في لبنان ، ودعا صراحة الى نبذ العربية الفصحى — من جديد — بدعوى تخلفها وعدم مقدرتها على مسابرة التطور العلمي ، كما دعا مؤخرا الى كتابة عابيته هو « بحرف جديد يزعم انه فينيقي » (٣) . ولكن المسألة المشارة لان بينه وبين بعض

دعاة العابية الاخرين ، كيوسف الخال ، هي ان الاخير يابخذ على الاول تحمسه الشديد لدعوته ، لا لشيء الا لان في طرحها بالشكل الذي قدمه مسعد عقل ، ضرا على الدعوة ذاتها ، بلعل ما يثيره هذا التقديم المنحصر من سرود عمل منيعة قد تنقده بلوغ الهدف المرجو منها ، فيجبط عليه عمله — بالتالي — وما يتوخاه من اخراج دعوته الى حيز الواقع . او كما يقول يوسف الخال صراحة « والى ان يحسم الخلاف بيننا ، فاني اعشى ان يضر مسعد عقل بهذه الدعوة ، فيكون من العوامل الرئيسية في اعانة الاخذ بها » وضرب لنا مثلا على هذا ، بقوله « فاذا كنت انا — اي يوسف الخال — لا اوافقه على موقفه منها — اي طريقة الاول — فغل من المنتظر ان يوافقه مثلا ، خليل تقي الدين ؟ »

والذي يؤسف له حقا ويلا النفس اسى ومراة ، ليس لان بين ظهراينا من يدعو الى كل ذلك وفي ظروف محتنا الحاضرة ، ولكن لهذا الصيت المطبق الذي يجثم على اقطارنا ، على مختلف المستويات فيها : الفردية والجماعية ، ازاء ذلك كله مع وشوح نتائج الخطيرة على وجودنا . هذا في الوقت الذي نجد فيه جيسع الالم على اختلاف نظاميهما ، تعنى اشد العناية بلغاتها



أحمد عبد المحمي حجازي - العدد ٢٢٢١ و ٢٢٢٢ في ١٥-٣-١٩٧١

و ٢٩-٣-١٩٧١ .

(٥) مجلة العلوم - شباط ١٩٧١ - الصحافة في إسرائيل - ترجمة الدكتور أباد التراز .



(١) لا يجوز شونين «أول» كما هو شائع لأنها بزنة أفضل .

(٢) حسب ما يبينه بالتواريخ في الصفحات السابقة .

(٣) ليس بعجيب أن يكتب أريك باس مراسل صحيفة نيويورك

تايمس في روايته «الفتح» المرسلة لأتباع الاتحاد والتضامن

على العرب ما نصه عن بيروت: «يتمن أن تكون مكانا جميلا

حقا ، فقط لو أمضى العرب منها» الأتوار العدد ٢٧٤٢ في ٢ نيسان

١٩٧١ .

قال شاعر في بخل اسمه حفص:

أُرْفِقْ بِحَفْصٍ حِينَ تَأْكُلُ يَا مَعَاوِيَ مِنْ طَعْمَائِهِ

الْحَدِيثُ أَيْسَرُ غَنَدِهِ

مَنْ مَضَّغَ ضَيْفَ وَالتَّقَامَهُ

وَنَرَاهُ مِنْ خُيُوفِ الْفَرِّ

يَلُ بِيْرُوغَ فِي مَنَامِهِ

سَيِّئَانِ كَسْرُ رَغِيْفِهِ

أَوْ كَسْرُ عَظْمٍ مِنْ عَظْمَائِهِ

لَا تَكْسِرَنَّ رَغِيْفَهُ

أَنْ كُنْتَ تَرْغِبُ فِي كَلَامِهِ

وَإِذَا مَرَرْتَ بِبَيْتِهِ

فَاحْظِ رَغِيْفَكَ مِنْ غَلَامِهِ



● قال أبو الدرداء: علامة الجاهل

ثلاث:

● العجب ، وكثرة المنطق غيبا

● لا يعنيه ، وأن ينهى عن شيء ويأتيه .

● قال عمر بن عبد العزيز :

خمدلتان لا تعذبك من الجاهل :

كثرة الأسئلة وسرعة الجواب .



الطباعة .

وهكذا الحال عند بقية الأمم ، على تفاوت في الدرجات . ولا نريد أن نذكر بان لغاتها من حيث التطور الفني الحضاري تعد دون مثزلة اللغة العربية ، بإجماع كل علماء اللغات في العالم .

ومن ناحية أخرى ، نجد بعض الأمم التي لا تملك إلا الشيء القليل من تراثها القديم ، حريصة أشد الحرص على التحري والتنقيب ، وعلى الحصة التي تحوي نقشا - حتى لو كان ضئيلا - يمت إلى تراثها بصلة . بل إذا وجد نقر من علمائها الباحثين هكذا حصة ، فانه سرعان ما يملأ الصحف بالمقالات المذبجة عن هذا الكشف ، كما يشغل وقتنا من إذاعة بلده ومرتاته ( تلفزيونه ) للحديث عن ذلك ، بهدف الوصول إلى إفساح صدور مواطنهم بالثقة بأنهم ، والاعتزاز بإجدادهم وتراث أجدادهم ، والفخني بإيجادهم ، والافتاء بكل ذلك في سبيل متابعة السير في هذه الحصة .

خاصته

ذلك أن أمة ما من الأمم لا تركز على تراثها ، ولا تصل حاضرها بإباضها فتمضين تمهيدا لتمام مستقبلها ، بتواصل أجيالها عبر كل ما حواد تراثها من علوم وفنون ومعتقدات وآداب وفلسفة .. الخ . ولا نستطيع إذا الذرات وتمثله كلية لتبني عليه متطلبات حياتها الحاضرة ، ثم لا تتغنى أجيالها الحية - على الدوام - بإيجاد قاداتها الغر الميامين ، ولا تنقذي ببطولاتهم وخطلهم ، ولا تهذي بهذي أعلامها الجريزين ، ولا يحدوها - حينئذ - أي دافع إلى بحث تلك الإيجاد وتشبيد حضارة الماضي في الحاضر ، أن أمة من هذا النمط لا يمكن أن يكتب لها البقاء في ظل بجموحة من العيش الإنساني الكريم ، أن لم نقل ببقائها . فهل سيسجل القرن العشرون نهاية الوجود الإنساني لينتأ العربية الصابرة المسابرة والمكابدة لظلم الإذاء وضيم الإصدقاء والإبناء ؟!

هادي طعمة

المصادر

(١) تاريخ الدعوة إلى العابية وآثارها في مصر - الدكتور نفوسة

زكريا سعيد .

(٢) أباطيل واسابر - العلامة محمود محمد تاساكر .

(٣) بعض ملاحق صحيفتي النهار والأتوار اللبانييتين ، لعام ١٩٧١

(٤) مجلة روز اليوسف - دفاع عن غروية مصر - الأستاذ الشاعر

# القمة



ARCHIVE

## قصيدة مهداة لرابطة الأدباء في الكويت

فكان ما شاهدت للفضل عنوانا  
فيه الميون وخاط التوم اجفانا  
فيه العيون يتابعنا وغدرا  
فيه الاكف حجارا بله عيدانا  
مادت باحيائها قاعا وميدانا  
في القاع اساء وفي الاجواز اركاننا  
ناهت باهلها حورا وولدانا  
زاد الاديب بها عمقا وتبينانا  
ان يستبد برأي صال او لانا

كويت قد شاهدت عيني الذي كانا  
نهضت بعد رقاد طالما هجمت  
وجلت بعد ركود طالما سكنت  
وجدت بعد جهود طالما قبضت  
تالفت فيك آفاق مرجبة  
وقامت الدور فيها وهي ذاهبة  
من كل مقصورة بالبشر أهلة  
او منتدى يجبع الاداب رابطة  
من كل اروع تآبى نفسه كرما

أما برمنا ببعض الرأي أحيانا  
فازددن بالسمع احساسا ووجدانا  
في القنر سبحان أو في الشعر حسانا  
نورا وبرفعها قدرا وميزانا  
ما عندها من رفيع الفكر عرفانا  
ما أروع النيل في الإهداء اتقانا  
جادا فكان الجدي شعرا وأوزانا  
« بنازك » وهي من تشجيك الحانا  
ذراه في فلك التجديد كيوانا  
حتى تمثل فيه اللطف انسانا  
فان قبلت الجدى أولاك شكرانا  
إذا قبلت له فضلا واحسانا

● ●  
نكرا بعبط بالإطياب دنيانا  
أخوانك العرب أشباخا وشبانا  
نخضال بالعلم فوق الدور عوانا  
غراء تحسبها وردا وبريانا

● ●  
بنها التناكثم قد باتت بئسنا  
يلقاه من طيها الفواح نشوانا  
نولين درعا على الأحداث معوانا  
لؤلؤه ضاقوا بما يلقون اشجانا  
خذلهم فحجبت الظهر خذلانا  
بذل النفيس رايت الصعب قد هانا  
في البذل يسند أحيانا باغنسانا  
ذلا ويسحقهم قهرا وخسرانا

● ●  
ان الكريم نصير الحق مذ كانا  
لكن ليلو ازكانا واشقانا  
الا مع الثائرين الصيد اقربانا  
فليس يرضيك الا القبة الانا

يلقى التقاش بصدر لا يضيق به  
وان تحدث اصغت كل جارحة  
كان في برده لما اصغت له  
او دار علم يزيد العلم بهجتها  
يكفيك ان بها « ضيفا » يضيف الى  
هدية من ضفاف النيل رائحة  
ما مثله غير رفد الرافدين اذا  
لؤلؤه لم احظ بالاقدار تجمعي  
ومن غدت علما في الشعر قد بلغت  
والالهي الذي رقت شئنا له  
يعطيك فوق الذي ترجوه نائله  
كانما انت بالاحسان تغيره

● ●  
كويت ، فضلك في كل البلاد غدا  
مددت كفك بالبنذل السخي الى  
فكم اقمست لهم دارا مشيدة  
وكم بذلت لتطوير البلاد يدا  
فيسبح شمسنا وهو الطود من عدن  
وحول صنعاء ما يغدو الارب لما  
وفي فلسطين كم يلقى النضال ما  
وكم ينال الفدائيون من مدد  
لما رايت حياة الظهر قد غدروا  
وان احاط ببذل النفس راضية  
يا ليتنا كلنا نحيا مساهمة  
اذن لما ظل عار العرب برهتهم

● ●  
كويت، سيري على ما انت من كرم  
لم يمنح الله نطق العرب عن عبث  
وقد عرفتك لا ترضين ان تقفي  
قد كان ما كان من بذل وتضحية



— عدن —





بقلم  
الدكتور  
عبد السلام المغمري

## قصيدتان في

# العيون المنفضة

عشية سقوطها بيد فردينسد وايزابلا . وليلى ، في هذه الرواية ، ليست ليلي العابرية بل هي غداة شقراء جاءت من بلاد التلج والصقيع . وقد تحول اسمها في الاندلس فاصبح ايلزا لذلك فان الكتاب يروي قصة مجنون بالحب اسمه قيس ، لكنه ليس مجنون ليلي بل مجنون ايلزا .

ولابد انهم يعني هذا النقل في التاريخ واسماء الابطال ان تعرف ان آراغون ، وهو واحد من اوائل شعراء فرنسا المعاصرين ، قد ارتبط بزواجه ايلزا تريولييه ، الكاتبة الفرنسية التي توفيت في العام الفائت ، ارتباط قيس بليله . غناها في قصائده الرائعة وسمى دواوينه باسمها . في تلك القصائد والدواوين يستمتع كل قارئ للفرنسية بمغربة آراغون الشعرية وحرارة عاطفته في شعره . اما في الديوان الذي اتحدث عنه ، مجنون ايلزا ، فان المغربة الشعرية قد اخذت قالباً غريباً زاد في جمال الشعر الفرنسي ، هو القالب العربي .

ولهذا قلت بأن ثلوق الادب العربي ، الى جانب احسان اللغة الفرنسية ، يجعل الانسان يتمتع بقراءة « مجنون ايلزا » اكثر من غيره . فالقارئ العربي يطالع في هذا الكتاب صفحات من تاريخ امته ، وهي صفحات موسية لانها تتحدث عن ضياع غرناطة من ايدي ابنائها العرب ، ولكنها صفحات مؤثرة وشيقة بما تثيره من ذكريات وتوصله من اجواء . وهو يقرأ شعرا فرنسيا نسجه آراغون على متوال عربي . فتمتمة موشحات وقصائد غزل وارجيز ، منظومة شعرا

يروون عن الشاعر الفرنسي المشهور لافونتين ، شاعر الخرافات الحكية على السنة الحيوانات ، انه قرأ لأول مرة في احد امصار النوراة صلوات باروخ فاعجب بها اعجابا شديدا حتى اخذ يسأل كل من لقيه هذا السؤال : هل تراه باروخ ؟ الى ان ذهبت هذه الجملة مثلا في اللغة الفرنسية . وقد عادت حكاية هذا الجبل الى ذهني منذ سنوات حين قرأت بالفرنسية كتابا لفرجينيا وولف بمتعة رائعة ، فرحت ابحت بين اصدقائي الذين يتذوقون الادب العربي ويحسون اللغة الفرنسية في آن واحد ، ممن يشاركني في هذه المتعة لادله عليها بعد ان اسأله : هل قرأت مجنون ايلزا ، لآراغون ؟ لا ؟ اذن فاني اتنى عليك واننى لك ان تقرأ هذا الكتاب . .

وقد قلت اني كنت القى سؤالي على اصدقائي المتذوقين الادب العربي والمحسنين اللغة الفرنسية في آن واحد . ذلك ان متعة قراءة « مجنون ايلزا » لا تتم لمن لا يتصف بهاتين الصفتين ، فالكتاب فرنسي ولكن موضوعه عربي ، ومغرب في عريبته . انه رواية في نحو من خمسين صفحة سماها مؤلفها ، وهو الشاعر الفرنسي المعاصر آراغون ، قصيدة ، لاتهاجي كل ما تحويه شعر في الذروة من البلاغة والموسيقى والمحتوى العاطفي . وفي هذه الرواية - القصيدة سرد آراغون قصة شاعر وعاشق عربي وهو قيس بن عابر التجدي . مجنون ليلي ، بطريفة مبتكرة ، غريبة واخاذة .

في رواية آراغون ان قيس بن عابر التجدي لم يعيش في نجد وفي صدر العصر الاموي ، بل في غرناطة ،

فرنسيا - ولكنها قريبة جد القرب من الروح العربية  
ومن النظم العربي . بين عناوين القصائد بقرا زجل  
قطرة المود ، زجل باب البود ، قصيدة رمضان ،  
قصيدة شوال وذى القعدة ، مساجين القصيدة ،  
حياة الوزير ابي القاسم عبد الملك الخيلية . . الى  
جانب اقوال ماثورة لرجال العرب القدماء ، في السياسة  
والشعر ، وصور من الحياة العربية في الاندلس حين  
كانت غرناطة في اوج الترف الحضاري .

ولقد كتبت خلال قراءتي هذا الكتاب - القصيدة  
انتقل من شاعرية أراغون وروعة الصور الاندلسية  
والوقائع التاريخية والاجواء العاطفية ، من جهيل  
الى اجيل ومن عذب الى اعذب . وفي فصل عنوانه  
« اغاني المجنون » من هذا الكتاب وقعت على قصيدة  
ساحرة - اسمها « العينان المغضبتان » كان لها في  
نفسى اثر خاص . لقد ذكرت ان لي انا قصيدة  
تستوحي موضوع قصيدة أراغون - ونبيدا بدء هذه  
القصيدة ، فطابت لي ان اعود الى ما نظمته لا لاقارنه  
بشعر مجنون ايلزا ، بل لارى ماذا اقدر على قوله  
في موضوع نظم فيه أراغون مثل قصيدته تلك .  
واليك قصيدة أراغون - او بعضها منها ، بحرية ،  
اعني مجردة من كثير من رواها الشعرى الذي توفى به  
في انتها الاصلية ، والذي يستحيل علي ان انقله في  
ترجمتي لها .

#### العينان المغضبتان

لا تقمضي عينيك ، فانا  
في هذا الجانب من اجفائك  
لست اسطيع ولوج اذنك  
الذي تجول فيه ، دون ضياء ، نظرائك

لم تبتسمين انت امامي  
اي طيف فيك يسر ، بلا ميسك  
آه اني اخاف مما تبصرينه  
ومن ذاك المدى الذي تدوره شفتاك

اياها نهر سراعاً فافتحي عينيك  
فكري بالسعادة التي تسليبتني اياها  
انك تسليبتني نصبي من السموات  
الذي وثقت بك ففاهرتك عليه

وبل من خسر الرهان  
اصبحت بطروداً من ملكوك  
فألى من انصرفت احلامك  
على الشاطئ الذي عليه تمشين

اين تذهين من دوني ، من دوني اين  
تصنعين طريقك وحيدة  
تذهين من دوني ناسية كل شيء  
ناسية حتى اني احبك

افتحي لي عينيك المعبودتين  
كي اعود لاجد فيها انثائي  
افتحي عينيك الواسعتين  
الواسعتين سعة روحي . .

هذه هي « العينان المغضبتان » ، قصيدة أراغون  
على لسان مجنون ايلزا . اما قصيدتي التي قلت انها  
تستوحي الموضوع نفسه ، فقد سويتها « لا تسبلي  
الجفون » ، وهذه هي :

لا تسبلي الجفون  
عبر عينك الف دنيا من الحسن فلا تسبلي الجفون ستارا  
ودعيني ارى الحياة شعاعا  
بين اهدابك الطوال انصارا  
جئت من غربي الخزينة اطوي  
من تسجوني سياسيا وقفارا  
مرة تزهو المني في دروسي  
وعلى الشوك والشوك مرارا  
لح بي الشوق واللقاء سراب  
كلما خلت ذنا ينواري  
ثم ذاب الهجر وازدهر القفر وضاعت عين الطيوب صحاري  
حين اشرق في المساء فحارث  
ظلمة المجر والدجى انوارا  
حين اقبلت كالربيع تجرين شذى الزهر والعبر ازارا  
حين ابصرت في هواك هنائي  
وشقائي وجنتي والصارا  
وارائي الضياء ابهى واحلى  
نور عينيك والتجوم غياري  
ابعد الحب فيهما الف حسن  
وتفسي واطلع الاقمارا  
الف حسن رايتها عبر عينك فلا تسبلي الجفون ستارا  
وكما اسلفت ، لم ارد ان اقرن قصيدتي « لا تسبلي  
الجفون » بقصيدة « العينان المغضبتان » . ولكن  
اكتشفتي اشتراك التصديقتين في فكرة واحدة زاد في  
ولمي بجنون ايلزا ، هذه الرواية القصيدة ، وزاد في  
رغبتني في اشراك قراء العربية ممن يحسنون الفرنسية  
الى جانب جميع ادب ابلهم وتاريخها في المتعة التي  
جلبتها من هذه النخبة الادبية التي نظمها كبير من كبار  
شعراء العصر مستلهمها فيما نظم عشاق العرب وشعور  
العرب وتاريخ العرب .



# ميشيما

احياء روح المخارب الياباني الشجاع «ساموراي»  
ومحو عار الهزيمة في الحرب ومطالبة الحكومة باعادة  
تسلح الجيش .. يتهم الشعب بالنبرغ في حياة الترف .  
يدرك ميشيما انه لم يصل الى قلب الجنود ، يقطع  
كلمته ويمتشق سيفه ، ويخلع قميصه حتى وسطه  
ينحنى ويغمد سيفه في بطنه .. ونطلق منه صرخة تحمل

الزمان : الحادية عشرة من صباح يوم ٢٥ نوفمبر  
عام ١٩٧٠  
المكان : القيادة العليا للجيش الياباني في ملوكيو  
.. والروائي الياباني يوكيو ميشيما يشق طريقه بتبعه  
اربعة من رجاله الى شرقة مطلية على حوالى السف  
جندي .. يلقي خطبة نارية في الجنود يدعوهم فيها الى



كل الألم وتتردد اصداؤها في الحجرة .. يتقدم رفيقه « موريتسا » ويهوي بسيفه على رقبة ميشيما ثلاث مرات فينفصل الرأس عن الجسد ويتدحرج في احد اركان الغرفة ، وعندما يظن ان انه قام بواجبه نحو صديقه ينتحر بنفس الطريقة ويتولى ثالث الاطاحة برأسه ...

وهكذا انتهت بصورة درامية حياة اشهر كتاب اليابان في هذا العصر ومعبود الشباب الياباني وهو لما يرل في الخامسة والأربعين من عمره ..

فلماذا اخفأ ميشيما هذه النهاية الاسطورية لحبسه التي اخذت شكل الاحتجاج والرفض ؟

كتب ميشيما في اول قصصه الطويلة يقول « ان النقاء المخل هو أسوأ انواع الانحلال في العالم » . وقصة حياته كما تعكسها كتاباته وتصرفاته تبدو وكأنها سمي حثيث من اجل النقاء الشخصي مع الاحتجاج العنيف ضد الانحلال القوي . وهذا امر قد يبدو للقاري غيلا بطوليا او شريرا او حتى عبثا .

ولد يوكيو في ملوكيو عام ١٩٢٥ وترى في بيت جدته التي حالت بحبها القوي بينه وبين معرفة الحياة على حقيقتها . وعرب وهو طفل الى عالم الكتب وفي سني الحرب العالمية الثانية لم تكن تتوفر في اليابان سوى الكتب الكلاسيكية التي ساعدت على تكوين اسلوبه الادبي وزرعت في اعماق نفسه احترام عميقا للتقليد القوي . وفي التاسعة عشرة من عمره تخرج من مدرسة « بير » بحمل شهادة تفوق واستاذة من الإمبراطور . وكان لذلك التقدير من الإمبراطور اثره الباقى في نفس الشاب حتى مماته ..

وفي نفس العام نشر مجموعة قصص قصيرة بعنوان « البستان المزه » The Flowering Grove وبعد دراسة القانون في جامعة الإمبراطور بطوكيو التحق بوظيفة في وزارة المالية لم تدم أكثر من ثمانية اشهر تنفر بعدها للكتابة ..

وظهرت اولى رواياته وهو في سن الرابعة والعشرين وهي « اعترافات قناع » Confessions of a mask حققت نجاحا فوريا ووشمته في مصاف البطال في اعين الشباب الياباني الذي خرج من الحرب مهزوما ساخطاً . وواضح من الرواية انها سيرة لحياة ميشيما ذاته وان انكر هو ذلك في بعض الاوقات . في الرواية ، يدرك البطل منذ طفولته انه مصاب بالشذوذ الجنسي ويصف بحاولاته الابنية للتوفيق بين شعوره هذا والتقاليد الاجتماعية السائدة . ولم تكن تلك عملية سهلة لان شذوذه كان مرتبطا بالرغبة في العذاب والموت . وانسم اسلوب الرواية بالمهارة الدقيقة والصرحة بالباشرة .

ومنذ ذلك الوقت اتسمت اعماله الادبية بالتحاج

والخصوبة في آن واحد ، فقد نشر اكثر من مائة عمل يتراوح بين القصص الطويلة والقصيرة والمقالات والمسرحيات والشعر والذكرات ، هذا بخلاف خمس عشرة سلسلة ظهرت في المجلات المشهورة . وحصل على خمس جوائز ادبية ورشح لجائزة نوبل ، كذلك تحولت عشر روايات له الى افلام سينمائية ، وظهرت ترجمات لاعماله في خمسة عشر بلدا . وقيل ان بنى حياته بسيفه سلم الى نشره آخر مجلد من رباعيته « بحر الخصب » The Sea of Fertility وهي سلسلة من اربع روايات استغرقت كتابتها عدة سنوات ويعتقد بانها احسن ما كتب ..

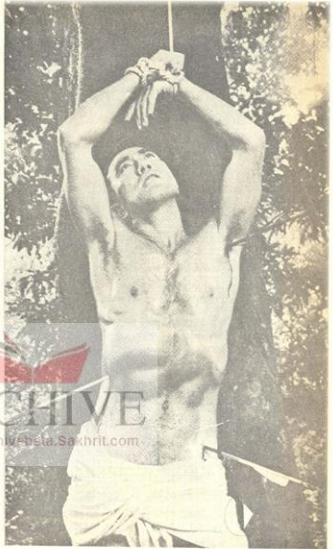
اما عن حياته الخاصة فيعتقد بانها كانت موقفة بالمثل . فقد اقترن بكريمة احد كبار الفنانين اليابانيين وانجب منها ولدا وبتنا . ومثل في عدة افلام واخرج بنفسه بعض افلامه وكان بطلا بارزا في رفع الانثال والمصارعة ولعبة الشيش اليابانية المعروفة باسم « كندو » Kendo ويرجع حبه للباقة البدنية الى عام ١٩٥٢ عندما زار اليونان للمرة الاولى وسحرته تماثيل الالهة الاغريقية .

تقوم على أساس من واقعة تاريخية وقعت في مدينة كيوتو في عام ١٩٥٠ عندما أشعل أحد رجال الدين النار في أحد المعابد ويرر جريمته هذه بقوله أنه «يكره الجبال» .. وقد لقيت قصته هذه بالذات نجاحا كبيرا في الغرب .. ويقول ميشيما في مذكراته بأن بطل الرواية الذي كان ينوي أن يحرق نفسه مع المعبد كانت تلكه فكرة مجنونة ، جعل منها السبب في ارتكاب جريمته ...

وفي عام ١٩٥٧ حاول ميشيما أثناء زيارته لنيو يورك أن يعرض مسرحيته Five Modern no Plays على مسارح المدينة ولكنه أخفق .

أما روايته الطويلة « بيت كيوكو Kyoko's House » التي ظهرت في عام ١٩٥٩ فقد أرادها أن تكون دراسة في « العدمية أو العيب » ولكنها لفت للنقل . وفي عام ١٩٦٠ أخرج واحدة من أحسن رواياته وهي « بعد الحفل After the Banquet » وهي من النوع التراجي - كوميدي تعالج بعض القضايا السياسية المعاصرة . وفي نفس العام نشر قصته القصيرة الوطنية Patriotism والقصة مأخوذة من واقع ثورة قام بها ضباط شيان ضد الحكومة في عام ١٩٣٦ وانتهت بالفشل وانتحار أحد أبطالها بطريقة الهلليكي . ويأتي ذكر هذه الثورة مرة أخرى في قصته « الأصوات التي لا يهتف بها » The voices of the Heroic Dead عندما تنفض أشباح أبطال تلك الثورة مع أبطال الطيارين الذين قادوا طائراتهم إلى أعماق المحيط ، نهض لنؤبب الإمبراطور الذي خاتمه عندما أعلن أنه ليس باله . وقد تحول هذا الموضوع إلى حقيقة بعد ذلك بثلاث سنوات عندما شكل ميشيما جيشا خاصا أطلق عليه اسم Shield Society وهو مجموعة من الضباط الشبان أغلبيهم من طلبة الجامعات بهدف حماية الإمبراطور . وإلى جانب ذلك يهدف الجيش إلى إحياء روح المحارب الشجاع « ساموراي » في البلد الذي خربته مادية الغرب ، ويكون بمثابة حركة احتجاج ضد الدستور المهيمن الذي فرضه الجنرال ماك إيتو على اليابان بعد هزيمتها في الحرب . وتحرم اليابان - بمقتضى هذا الدستور - من تكوين قوات مسلحة خاصة بها أو الدخول في حرب من أي نوع .

وفي سبتمبر الماضي نشر مقالاً عن الفيلسوف الصيني أوشيو هيهاشيرو الذي عاش في القرن التاسع عشر والذي كان يؤمن بأن الموت هو أسس رفض للشعور الذنوبية . وكان هيهاشيرو قد قام بثورة فاشلة ضد الحكومة في عام ١٨٣٧ وانتحار بعدها وهو في الخامسة والأربعين -وهي السن التي انتحر فيها ميشيما أيضا في ٢٥ نوفمبر عام ١٩٧٠ .



وفي عام ١٩٥٤ ظهرت له قصة « صوت الأمواج » The sound of waves التي تعيد إلى الأذهان أسطورة يابانية قديمة من الفن الشعبي الياباني الذي يردد الصيادون ...

وبتحليل أعماله نجد أن صفتي النقاء والتحلل سواء جاشا معا أو منفصلتين أو متعارضتين تترددان من خلال جميع مؤلفات ميشيما . ففي قصة « الععلش للحب for love » التي ظهرت في عام ١٩٥٠ نرى أرملة متعلقة ترتكب جريمة قتل بدافع من حبها المفرط لأحد الرجال . وقصتنا « الألوان الممنوعة » Forbidden Colours « واعترافات قناع » تتعرضان لحياة المساكين بالشؤون الجنسية . وقصة « معبد الجناح الذهبي » The Temple of the Golden Pavilion

# يوسف الابراهيم

## وعشر سنوات من عمر الكويت

بقلم  
عبدالعزیز  
المنصور



البداية . أو لعل التدبير كان لتصوير خروج التبرائل عليه وقتله في ما يدور بينها من معارك . ولكن هذا التدبير لم يكن الجبالح من دبروه ، إذ واثت مبارك الفرسة ليدبر هو بدوره امره على مهل وبإحكام ، حين كانت الليلة التي استطاع فيها ومن خلفه اهل البداية والتفاهم حوله ان يضرب ضربه وان يقتض على الحاكمين الظاهر والمستتر ، ومن حوله ولداه جبابر وسالم . وتمت له السيطرة على الحكم وتولى زمام البلاد ، وما املت ليلتند يوسف الابراهيم من مصرير الحاكمين الا لانه لم يكن موجودا بالقصر ولا قربه وانها كان في تصرفه في ( الصبية ) وهو مكان ناه بعيد لم يفكر فيه مبارك والا لاحاط للامر ودبر له .  
منذ هذا الوقت بدأ دور يوسف الابراهيم الذي اتوقف الان عن الحكم له او عليه .

\*\*\*

كانت عائلة الابراهيم من العائلات الفنية المسيطرة على التجارة بالكويت ، مما جعلها صاحبة كلية بمسوعة عند حاكم البلاد ، ومن ثم كانت ليوسف حيث كان من اغنى التجار في تلك العائلة وكان يملك مساحات واسعة من الاراضي الزراعية في العراق ، اتول من ثم كان له نفوذ وكان له عند الحاكمين مقام رفيع ، ولقد كان

بين عام الف وثلاثمائة وثلاثة عشر (١) وعام الف وثلاثمائة وثلاثة وعشرين من الهجرة عاشت الكويت احدانا خطيرة . وكان محور هذه الاضطرابات يوسف الابراهيم الذي كان حتى الخامس والعشرين من ذي القعدة من عام ثلاثة عشر بعد الثلاثمائة والالف من الهجرة ويوافق السابع عشر من مايو عام الف وثلاثمائة وست وتسعين من الميلاد يعمل مستشارا للكويت في الشؤون الداخلية والخارجية والمالية للحاكم الذي انتهى حكمه في هذا التاريخ .

كان حاكم البلاد في ذلك الوقت هو محمد الصباح ولانه كان ضعيفا لا تنوغل له من الصفات ما يتناسب مع شخصية الحاكم استطاع اخوه جراح ان يشاركه في الحكم ويبسط نفوذه حتى يوشك ان يكون هو الحاكم الفعلي في البلاد لانه كان يحسن التخطيط (٢) والتنظيم وكان واسع الخبرة شامل المعرفة رحيب الجوانب .

وكان هناك شقيق ثالث لحاكمي الكويت هو مبارك الصباح ارادا ان يبعدها عن الحكم وان ينحياه عن طريقتهما . وهنا يبرز دور يوسف الابراهيم الذي دلها على الطريق وهداها الى الخطة ، اذ وكلا اليه الى مبارك - سنون البداية(٣) يفصل في ما يختلف فيه القبائل ويؤدب الخارجين على الحكم منهم . وهما يهدفان بهذا الى شغلته عن الحكم والسعي اليه بشئون

العسالي .

لم يقف يوسف بالامر عند هذا الحد ولم ينحن لهذه الصدمة بل لقد دفع اولاد القتلين دفعا لمتقدمها بشكايه اخرى ومظلمة جديدة الى القنصل البريطاني (٧) في البصرة — هذا وهو الذي كان يتهم مبارك بالاتصال بالانجليز والتغريب اليهم — ورفع القنصل الشكاية الى المصادر العليا وكان مبارك بالرصد لهذه المؤامرة التي ينسج خيوطها ويعد خططها يوسف اليراهيم ، اذ سارع يطلب الحماية من المقيم في «البوشهر» . ولقد طلب الموافقة على الحماية معللا طلبه بان وضع الكويت ليس تابعا للدولة العثمانية ، وكذلك لحفظ التوازن السياسي في الخليج ضد المنافسة الاجنبية ، وكانت بريطانيا تخاف من اقدام روسيا على مد خط حديدي من طرابلس (٨) (البحر المتوسط) الى الكويت لانها ترى هذا العمل في غاية الخطورة على نفوذها وسلطانها .



الشيخ مبارك الصباح

وانخرت الموافقة على الحماية بعض الوقت ثم تمت الموافقة عليها بعد حوالي عامين اي في سنة ١٨٩٦ هـ .

#### غزو الكويت

قلنا ان يوسف لم يسكت ولم ينحن واذا كان قد فشل مرة ومرة فانه يحاول من جديد محاولات اخرى مع الحاكم الجديد مجريا ما لديه من ضغن على الحاكم ولا يدخر دون ذلك مالا ولا حيلة . انه يتجه الى

صديقا حبيبا لمخيد قبيل توليه السلطة فلها تولي كان مرجعه في كل الامور ، ولم يكن المال وحده هو الذي هبنا له ما هبنا وانما « قد جمع يوسف الى جانب نفوذه وزعامته للكويت من المال والدعاء واستبسالته غلوب الرجال والاتباع ما جعل له هذا الاثر حيث ام يقتصر اثره على نفوس حكام الكويت وحدهم وانما كان له ايضا اثر في نفوس حكام البلاد التي لها تعامل وعلاقات مع الكويت كالهند والدولة العثمانية . والجزيرة العربية وتعلر واهل الجنوب وغيرهم ، حتى اشتهر امره وذاع سينه في بلاد الخليج العربي شهرة الملوك والامراء » (٩)

وفي لحظة وجد نفسه امام حكم جديد عطلا من كل سلطة فيه ، خالي اليد من كل نفوذ معه مقلق دونه ودون ود قلب الحاكم الجديد ، بل وفوق ذلك هو مطاردا لانه بقية حكم اريد له ان يبيد ، ولقد كان منتبها لذلك كل التنبيه واضحه لديه تلك الصورة ، حتى لقد رد من ارسلهم الحاكم اليه يستوفونه معلنين ان الحاكم يعني لقائه ويرجو عنده المشورة ، وذهب بكلم طليب معلنا ولاه للحاكم ، وصرعهم على انه لاحق بهم ساء الى الحاكم الجديد بالوالء على عجل ويشترطونه بتعهد عديته ويترك الكويت كلها هاربا من سلطان الحاكم ومنافذ نفوذه ، وما تكاد تطلأ قدامه ارض العراق حيث اطلاق الشاسعة ومن حوله انباء الحاكمين القتلين حتى يتجه بها في مظلمة دامعة باكية مشتكية الى والي البصرة « حدي باشا » الذي كان يربط بينه وبين يوسف ود تديم طالبا ان يثار للقتيلين وان ياخذ بدمهما ممن قتلها . ثمرا حباسته بان مبارك يقترب الى دولة اجنبية هي بريطانيا (١٠) وارسل حدي باشا يطلب من الباب العالي العسالي السماح له بغزو الكويت فارسل الباب العالي الى والي بغداد المشير « رجب باشا » الذي كان يرأس حدي باشا يستوضحه الامر ولكن رجب باشا كان سديبا لبارك اذ قابا مما في فترة سابقة بتسايب القبائل في جنوب العراق ولذلك كان رده على عاجل الدولة العثمانية « ان تلك الكارثة هي من الحوادث العادية التي لا يزال يقع مثلها كثيرا بين اعراب البادية ، وخير للحكومة الا تتدخل في القضية فان تدخلها قد يهدم آبالها العتئية التي كانت تبني عليها تقصصا في الخليج العربي » (١١) ولعله ايضا — كما يذهب بعض المؤرخين — قد داخل قلب والي بغداد شيء من تصرف مروضه والي البصرة اذ خطاها فاقبل بالباب العالي دون الرجوع اليه مما جعله يرد هذا الرد على الباب



كان على السر يؤمن اذا ما كاد يصل حتى اخبر الحاكم فاستعد له .

وعاقت الريح سفن يوسف فلم يصل الا بعد وصول هذا الرجل بثلاثة ايام (١٠) . ووصلت حملته او كانت الى شاطئ الكويت فوجد في انتظاره على الشاطئ جيشا معدا وجندا مستعدا فقدم على اطلاق سراح « علي ابو كحيل » . ويقال انه لم يرد ان يكون خصما للشعب الكويتي بل كان يرى ان النزاع بينه وبين مبارك ولديه جابر وسالم فوجد اغل من ذهب الى هذا الرأي السبب الحقيقي من وراء ذلك . وهو هدف يوسف اليراهيم من بناء مكان له ومكانة في قلوب ابناء الكويت سياسية منه ودهاء لانه بعد المدة ليعود الى الكويت .

ولا يفوتني هنا ان اتول ان هذه الحملة كانت تمثل القوة التنظيمية ليوسف وخطته المحكمة اذ اعلن انه سيقوم برحلة طويلة الى بومبي وبور سعيد ومرسيليا . ولكنه كان في ذلك الوقت يقيم في «عديان» (١١) ليهبط لهذه الحملة التي كان المراد بها غزو الكويت .

في قطر :-

كانت هناك اسباب دعت الى ان يحمل مبارك في قلبه سخطا على حاكم قطر قاسم آل ثاني وانه كان يفتخرون ان الحاكم حاكم قطر لن تنتهي حتى يستولي على الكويت او على الاقل يهددها كما كانت حالة الضغن هذه قائمة عند قاسم حاكم قطر لان مبارك قد وقف منه مواقف لم يحدها له . من ذلك انه اعد جيشا ليشترك في احصاء المقهرين عندما نوت الدولة العلية ان تجرد حملة لتأديب قاسم كما اعلن بالبشر نيا ضرب مدينة الزبارة (١٢) واحراق سفنها لحمد بن الرشيد حاكم حائل الذي كان يطمح في ان تدين له الجزيرة كلها .

استغل يوسف هذا الضغن وهذه الكراهية وانتقل يتقاسم واعد المدة لتجريد حملة للاستيلاء على الكويت والقضاء على نفوذ مبارك فيها . غير ان الامر لم يسر على هوى يوسف فلقد كان مبارك على يقظة فسبق في الامر وفتح رشوة لصديقه والي الاحساء سعيد باشا الذي تسم بمجهود كبير لاقتناع والي البصرة بان ابن ثاني يشر الفلق ويبيع باليمن ويحاول ان يعتدي اعتداء غير شرعي على الكويت وعلى حاكمها الذي وصفه بأنه الخادم الطمع للدولة الفارسل والي البصرة وقد يرئسه تقيب الاشراف بالبحرة رجب باشا التقيب ومحمد علي مدير الاوقاف السنينة في المركب (رحاف) الى

« عديان » مستويلا اليه ومعه رجال من الاسر الكويتية من بينهم الشيخ حمود بن جراح الصباح والحاج احمد العسائم والحاج خليفة مسلم وخسن بن عيسى القناعي . وهناك في « عديان » استطاع بالحيلة والدعوة والمال ان يجمع حوله ثمانية تنقم على حاكم الكويت فعلته ونسبته ما جنت ذهاب . ودرها على السلاح فاحسن نذريها . وفي الثاني عشر من محرم عام ١٢١٥ هـ اقلعت حملة يوسف اليراهيم الى الكويت تضم على ما حدث المؤرخون ما بين تسع سفن ١٩ الى اربع عشرة سفينة وكان عدد المقاتلين بها من الرجال الاشداء الذين ينسلحون باحدث الاسلحة في ذلك الوقت سبعماية رجل . وكان امر هذه الحملة سرا حتى لا يعلم به احد مما دفع البعض الى التشكك في ان الانجليز كانت لهم يد فيها . وليس ما يمنع في ان يكون الانجليز على علم بها بل هذا ما ارجحه وقد وثقوا صاهتين حتى اذا ما نجحت بدوا يد



الصداقة ليوسف اما اذا نشلت كانوا على صلتهم الطيبة بالحاكم الموجود . وكانت الحملة ان تنجح وكانت اطمان يوسف ان تتحقق لولا ان القدر كان بالمرصاد ، اذ ساق اليه من رآه في عرض البحر فلما تبض عليه وعلى سفينته استرحبه وقدم بين يديه مغلطات الايمان ان يكرم الامر ولا يديه وان يصون السر وبخفيه فأن له — على دهائه — واطمان لتسمة واطلق سراحه . وما

ابن ثاني لهذا بعد اللقاء وتوقف عن الاعداد لغزو الكويت .

### مع والي الاحساء :

كان لوفد سعيد باشا والي الاحساء اثره السمي على نفس يوسف الابراهيم اذ كان السبب المباشر في توقف ابن ثاني حاكم قطر عن غزو الكويت ، ذلك كان الانتقام من والي الاحساء شغل يوسف الابراهيم الشاغل ، نبدا في تأليب القبائل عليه واهم هذه القبائل قبيلة العجمان وبني هاجر مستخدما في ذلك رجلا يدعى عبدالرحمن بن سلامة اعطاه اموالا وسلاحا ومؤونة . وكذلك نظم حملة لجمع التوقيعات على شكايات يتهم فيها والي الاحساء بالظلم والتعسف (١٣) .

لم يكن مبارك غافلا عن هذه الحركة اذ استطاع بيقظته ان يحصل على تلك الشكايات موقعا عليها وارسلها بعد ذلك الى والي الاحساء الذي قام بدوره بتدبير مكيده ليوسف فقد ادعى انه هاجم قافلة قادمة من الاحساء ورمع الامر بذلك الى الدولة العثمانية التي امرت بالتحقيق في هذه الحادثة ، ومن ثم أصدرت قرارا بالقبض عليه ثم صدر الحكم عليه غيابيا واعتبر من المساكين ضد الدولة وطلب مبارك من الشيخ خزعل امير المحيرة مراقبة يوسف الذي كان في المشاة (١٤) يثير القبائل النجدية القادمة لاخذ المؤونة بفصول الصيف .

وهكذا استطاع مبارك ومن ورائه سعيد باشا ان يرغم يوسف على السفر من مركز قوته في العراق حيث املاكه وعبيده واعوانه الى بومبي في الهند .

### مع امراء حائل :-

في الفترة التي كان فيها يوسف في قطر اتصل بابن الرشيد حاكم حائل يطلب منه ان يهاجم الكويت من ناحية الشمال في الوقت الذي يهاجم ابن ثاني الكويت من الجنوب . وكان ابن الرشيد قد وعد خيرا لكن الدور الذي قامت به الدولة العثمانية وهو ضد ابن ثاني حال دون تحقيق ما يريد يوسف وعندها سافر يوسف الى الهند جامعه اخبار - لم يكن لها نصيب من المصحة (١٥) بان الدولة طلبت من ابن الرشيد مساعدته فسافر الى حائل منتكرا ، وهناك علم ان الدولة طلبت من ابن الرشيد ان يعمل على مصالحة بين مبارك ويوسف ، ولكنه استطاع ان يقنع ابن الرشيد في ان يكون في جانبه . فجرد حملة لمهاجمة مبارك علم بها مبارك فسارع بجيشه

وهاجم جيش ابن الرشيد ، والتحقا في معركة ضارية هي معركة الصريف .

ولقد كانت نتيجة المعركة انهزام مبارك بعد ابادته جيشه وعاد الى بلده محطيا كسيرا .

وكان يمكن ان تتقدم جيوش ابن الرشيد الى الكويت فتفتحقا وان تقرر عين يوسف بازالة مبارك عن الحكم وان ينولى هو سلطة البلاد لولا ان عاجلته المنية بحائل عام ١٣٢٣ هـ .

### خاتمة :

هذه هي قصة يوسف وصراعه الذي عاشت معه الكويت عشر سنوات فهل كان يوسف بطلا يدافع عن حق جند في سبيله كل ما يملك من مال ومن مواهب (١٦) بطلا نائر يطلب دما لا ملكا ولا مالا . ام ترى ان الامر ليس كذلك وانه يطلب ملكا وسلطانا نزعا من يده كما يذهب الى ذلك المرحوم خالد الفرج في قوله (١٧) « ان كل اهالي الكويت كانوا ناقلين على مبارك لقتله اخويه ولو ان يوسف ابد اولادها وجيزها للانتقام لاخوة الكويت بدون مقاومة ، ولكن قيامه بنفسه للطلب بدم عثمان كحل اهل الكويت يلفتون حول مبارك لاتيسر عرفوا ان يوسف يعمل لحسابه الخاص » .

والذي اذهب اليه رغم مظاعة ما قام به مبارك واستنادا الى هذا الاسرار الغريب الملح الذي حاول به يوسف ان ينحي مباركا عن الحكم ، اذهب الى ان يوسف لم يكن بذلك يطلب الا السلطة وتبين ذلك مما سبق من امور بينت في خلال الحديث - عن محاولاته العديدة مع من اتصل بهم من الحكام واتي لاشهد انه كان رجلا ذكيا سريع الحركة حسن التدبير لولا ان العقبات كانت تقوم في سبيله . ولقد شبهه مؤرخ الكويت الاول الشيخ عبدالعزيز الرشيد فقال : « انه يكرنا بابي زيد السروجي بطل المغامرات الحربية وان دهاده لو كان في الغرب لكانت له الشهرة الواسعة ، ولكنه شرقي وليس للنبوغ ولا لاهله تلبية (١٨) » .

(١) تاريخ الكويت ، عبدالعزيز الرشيد ، ط ٢ ، ص ١٢٢ .

ومختصر تاريخ الكويت ، راشد الفرجان ، ص ٧٧ ، مكتبة دار العروبة سنة ١٩٦٠

ومن تاريخ الكويت - سيف الشيطان ، ص ٢٨٩ ، مطبعة نهضة مصر سنة ١٩٥٩ .

(٢) الخليج العربي ، جمال زكريا قاسم ، ص ٢٥٨ ، مطبعة جامعة عين شمس .

- (٣) جبال زكريا ص ٢٥٨ ، وذكر بانه - اي مبارك - اعلى لقب  
(امر السيادة) والرشيد ص ١١٢ - ١١٤  
(٤) الفرصان ص ٧٧  
(٥) تاريخ الكويت السياسي ، الشيخ خزعل ، ج ٢ ص ١٧ ،  
بيروت ١٩٦٢ .  
(٦) الرشيد ص ١٢٥  
(٧) خزعل ص ١٩ - ٢٠  
(٨) جبال زكريا ص ١٦٤  
(٩) خزعل ص ٢٢ ، ذكر ان عدد السفن (١٤) سفينة ، يوسف  
القاضي ، صفحات من تاريخ الكويت ص ٢٢ ، ذكر ان عدد  
السفن (١٢) سفينة ، وسيف الشعلان ص ٣٠٠ ، ذكر ان عدد  
السفن بين (٩ - ١١) سفينة .

- (١٠) الفرغان : ٨١  
(١١) الرشيد : ١٣٠  
(١٢) الرشيد : ١٣٢ ، المقصود الحريق الذي حدث عام (١٣١٠ هـ)  
بوساطة الانجليز .  
(١٣) الرشيد : ١٢٧ ، خزعل : ٢٦ ، الفرغان : ٨٢ ، الشمس  
ص ٢٩٠  
(١٤) خزعل : ٢٧  
(١٥) الرشيد : ١٣٢  
(١٦) الفرغان : ٨٩  
(١٧) الشعلان : ٢٢٢  
(١٨) الرشيد : ١٢٤



## شعر: فيصل السعد

# عودة البحر الخاص

ARCHIVE  
http://archivebeta.sakhril.com

انا قاطع القلبيات بقظانا بلا جفن يرف  
انا من ديوت على التراب على الرصاص على الاسنة ،  
حين يهوى  
قلبي الى ذاك البريق  
انا حين يلتهب الحريق  
ثوب على الاجساد مبلول بلف  
لا تتكروني كنتم مني ،  
ومنكم صوت قناري وشعري  
وعلى روايي مجدكم غنيت للناس الجباع  
وبكم تغنت موجتي ،  
شالت سفيني الميزقة الشراع  
ما زلت احمل ماء نهري  
ما زلت ابحت عن متاع  
فلتينحوني كسرة من قلبكم ،  
فالיום قد اذف الدوداع

— ● —

في الليل اطرق بابكم لا تساليني انت من  
تعبان من سفري وفي عيني يزرق الوسن  
وعلى فؤادي هالة صفراء ابظرها الشجن  
لا تساليني واتركيني لحظة اغفو على زنديك ان الحزن جن  
يا عش عمري يا حبيب .

هل تعرفوني ؟  
انت من ؟  
انا عاشق الغيمات في اثري ،  
تخب الريح والخيول الاصيله والمحن  
وعلى جيبيني اتمر سوداء من وجع السنين  
قلبي يذوب على شواطئكم ،  
وينتحر الحنين  
لا تهربوا مني ،  
فاني ما تبعت خطاكم  
الا لانكم مفازاتي وظلي  
يا برق قل لي ، الف قل لي  
من اين جاءت حفنة النسيان ،  
ليت العمر لم يولد ولم تحب خطانا  
تعبت رؤانا لها التاريخ ،  
عافتها سباتا  
وانا نسيت وخطوتي سارت بلا اثر ،  
وصوتي صارخ مبحوح يختبر الزمانا  
هل تعرفوني ؟  
انت من ؟  
الله ما اتسأك من صوت يمزقني صداه  
وتغور في اعماقي اعماقي مداه

(1)

رايتك أمس يا بوري (1)  
رايتك في انطفاء عين مقنول  
تكش ذباب مقت الليل تبحت عن قتاديل  
وعن سليل من الاقمار تطلع في المواويل  
تهز منابت الاحزان في طيات منديل

(2)

رايتك أمس يا بوري  
رايتك أمس منفي الفقر في زمي  
وهوى المقم والوسن  
رايتك هرة عرجاء تسحب بزلق الاعراف والمحن  
وفي عينيك دمع سح الاطفال كالتهر  
ويؤس سد نبع الماء والمطر  
يلق لثف ضوء الشمس والقمر

(3)

قراءة الشاعر اروف

قرايك أمس يا بوري  
بديوان ( لنيكولاي ) يا بوري (2)  
رايتك وردة حمراء في شقيقه في عينيه  
يغني الفجر حتى الفجر — يشهد موت صاحبه  
يرش العشب بالعطر  
ويلق سيف قاتله ، يد يديه للرفقاء بالشعر  
وعلى فوق جبهته تعاويذا من القهر

(4)

سمعتك أمس يا بوري  
صدى لحن من الاحزان والتعب  
جميعك كلمة كلمة  
مسحت بها سواعدهم ، فما يلت من التصب  
وشاع اللحن لم يطفر الى السعف  
ولم يرجع الى قلبي انكار هوى  
ومات اللحن في القلب

# سنايل الشعور والاحزان

## شعر : أحمد حجيري

وعن اقمار طفلتنا  
تعود تعود في الصيف  
تداعب خفقة السفف  
تخضب رقدة السهد  
وترسم نبضة المblad في الجسد  
بازميل العيون الخضر والصهد  
منى القفاك يا بوري  
يعرف الديك تنتفضن في القجر  
واسمع صوتي الشجري  
منى القفاك عائدة من السفر  
منى القفاك يا بوري ...

احمد حجيري

البحرين

ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhrif.com>



- (١) قرية بحرانية .
- (٢) نيكولاياتزاروف شاعر بلغاري اعدمه الفاشيون بالرصاص عام ١٩٤٢ م .
- (٣) اشارة لمصون قصيدة شاعر الطليح المبدع ابي البحر الخطي التي مطلعها :  
عج بالخطي على معالم بوري بجمل لساني ونيع سروري



(٥)  
وجدتك امس يا بوري  
وجدتك طفلة حمرى بارصفة جليديه  
وشعر جبينك المنكوش يخفي جل آياتك  
تجلله عن الاوراد اقمار سرايه  
وجدتك من وراء السور ممسيه  
صرخت صرخت لم يسمعك سور الليل اغنيه  
وضاعت هالة الاصوات في صخب القطارات الخرافيه

(٦)

اشواق ابي البحر

اضمتك امس يا بوري  
قضيت العمر ابحت عنك في البردي  
اضمتك في فضول النخل والصيف  
حملت اليك طاقات من الحرف  
ولكني وجدتك امس يا بوري علي كفي  
علي شفتي  
علي هذبي  
وفي الطيف

عروق عروقت الحبراء تمتد الى الارض  
ونرتشفين من غضب ومن رفض  
وجدتك امس عارية علي التهر  
ونسغ النخل بعض من سرايينك  
وجدتك تشربين الماء بالكدر  
يلوب يلوب في عينيك نجم الجوع والضجر  
وتنتظرين في شوق مجيء الفارس (٣)  
المستاق للربيع  
يوزع من عيابه وروود القلب للجمع  
وينثر من مدامعه عذاب التيه في الزمن  
ويهزأ من فصول المحل والوهن :  
« فلا تنساني المستاق للنخل  
وعج يا صاح ، قبل وجنة الاهل »  
وسائل نخلة الاحباب  
عن احزان جارتنا

# ملاحظات واعتراضات على كتاب "موسيقى الشعر" للدكتور / ابراهيم أنيس



بمقدم  
جميل خورش



الموت بين الخلق مشترك لا سوقة يبقى ولا ملكُ  
الشيء كلام المؤلف . وهو كلام يفقد الأساس  
العلمي ويعتبر في التحقيق والتحميم . لقد وقع  
المؤلف في خطأ التقرير والتعميم دون تعص أو اطلاع  
والأمكن جاز له أن يقرر أن الوزن المذكور غير  
موجود في الشعر الحديث ( وهو يعني بذلك شعر  
العصر ) ؟ كيف جاز له ذلك . وهذا الوزن موجود  
بكثرة في شعر العصر ؟ وإذا كان المؤلف لم يطلع عليه  
في شعر شوقي وحافظ أبحر له أن يعمم وبضغ من  
ذلك قاعدة ؟

وهذه نماذج من الوزن الذي زعم الدكتور ابراهيم  
انيس انه لا يكاد يظهر في شعر العصر . قال الاخطل  
الصغير (إشاره الخوري) من قصيدة بعنوان (المسلول):  
حسناء أي فتى رأت تُصَدِّ

قتلى الهوى فيها بلا عَدُو  
بصرت به رث الثياب بلا  
مناوى بلا أهل بلا وَلَدٍ  
فخبرته وكان شافع

لطف الفزال وقوة الأسر الخ  
وقال ابو سلمى عبدالكريم الكرمي على نفسه  
البحر والثقافية من قصيدة بعنوان ( أين العواصم ):  
هذي الحروف جريحة الكبد  
مثلي ومثل الشعب والبلد

قرأت كتاب « موسيقى الشعر » للدكتور ابراهيم  
انيس وكان لي عليه بعض الملاحظات والاعتراضات  
التي اود تسجيلها ونشرها اظهار الحقيقة وتعميها  
للأفادة . وما كنت من يجحد فضل الدكتور ابراهيم  
انيس على اجيالنا الطالعة ولكن من حق أن أجعله  
وان ابين له حقوات وقع فيها واخطاء ارتكبها . ولنبدا  
في اظهار تلك الهفوات والاطفاء .

في حديث المؤلف عن البحر الكابل قال ما يلي :

وهذا البحر نوعان :  
١ - تام المقاطع أي ترد فيه المقاييس الثلاثة :

مفاعلهن ، مفاعلهن ، مفاعلهن .  
ب - ناقص المقاطع أي يرد المقاييس الاخير وقد  
سقط نصفه : مفاعلهن ، مفاعلهن ، مفاعلهن .

واضاف المؤلف قائلا :  
ولهذا يمكننا أن نقسم هذا النوع الناقص المقاطع

إلى حالين ، والقصيدة منه إلى حالين أيضا :  
١ - قصيدة تنتهي جميع أبياتها بوزن ( مُفْتَا )

محركة التاء .  
٢ - قصيدة تنتهي جميع أبياتها بوزن ( مُفْتَا )

ساكنة التاء .  
وارد قائلا : أبا الحال الأولى فلا نكاد نرى لها

مثلا واحدا في الشعر الحديث ، لهذا نمثل لها بتسول  
إبي الغتامية :

ونشوة الحب اذا افرطت  
بالصـب جازت نشوة الخير  
لله ما تجني صروف التوى  
على حديث المهـد بالهجر  
وهذا الوزن موجود بكثرة في الشعر القديم  
والشعر الحديث ( شعر العصر ) وتعميم المؤلف لا  
يستند الى اساس وهو يوحى بانه لم يطلع على شيء  
من الشعر العربي المعاصر . قال امين نخلة من  
قصيدة بعنوان ( شبيهة بنتي ) :

يا هذه السـمراء من انت  
ابنت ملك الحسن ام بنتي ؟  
زلزل قلبي وضلوعي هفت  
وصفقت لـمـا تلقت

لي في حمى لينان محبوبـة  
قلبي لديها وهو لا ياتي  
شبهك في الحسن كان الضحى  
يسفر عن شمسـين في وقت  
وقال من قصيدة بعنوان ( اخر العرس ) :

اصبحت في هم وفي ياس  
من هذه الدنيا ومن نفسي  
ما العيش من بعد الصبا والهوى  
يا قلب هذا اخر العرس الخ .

وقال من قصيدة بعنوان ( الكحل ) :

آمنت بالتدقيق والضبط  
يا واضع الخط على الخط  
كحلك ام هذا سواد الحـجـي  
نحت التـمـاع الفـيـث والنقـط ؟  
منسوخة عنه ومصبوغة  
به مطاوي الشعر السبـط الخ .

فهذه ثلاث قصائد من البحر السريع وعلى الصورة التي  
زعم الاستاذ المؤلف انها غير موجودة في شعر العصر .  
ثلاث قصائد لامين نخلة في احد دواوينه ( الديوان  
الجديد ) لماذا يعني هذا ؟ الا يعني ان احكام الدكتور  
ابراهيم انيس مخلخلة ولا ترتكز على اساس ؟ ولننفض  
في طريقتنا .  
قال المؤلف في حديثه عن البحر المنسرح ما يلي :

كيف السبيل الى تفحصها  
والجبر في شفتي وفوق يدي  
كل الحروف نظل شاردة  
ان لم تقل ما دار في الخلد الخ  
وقال خليل مطران من قصيدة بعنوان هل ( تنكرين ) .

والنهر هل هو لا يزال كما  
كنا لـذاك المـهـد نالـقـه  
يسقي الغياض زلالـه الشـبـمـا  
ويزيـد بهجـتهـا تعطفـه  
واها لـذاك التـهـر خـلف لي  
عطفـا بـذيـبا بـعد مـصـدره  
يا طالما اوردتـه امـلي

وسقيت وهـي من تصوره الخ .  
وقال المؤلف في حديثه عن البحر الرمل ما يلي :  
اما ما ذكره اهل العروض من جواز احوال اخرى  
للماعلاتن في حشو الابيات فلم يرد في الاشعار قديما  
وحديثا ما يؤيد قولهم من قصائد صحيفة التـشـابـه  
بحققة الرواية .  
وهذا تعميم غير مقبول ايضا . قال عمر ابو  
ريشة من قصيدة بعنوان ( امي ) .

امـتي كم غصـة دابـية  
فـاعـلـاتـن فـاعـلـاتـن فـمـلـن  
خـنـقـت نـجـوى عـلاـك في فـمي  
فـمـلـان فـاعـلـات فـاعـلـن

وانا لا اجادل المؤلف في ان ورود صور اخرى  
للماعلاتن غير ( فـمـلـان ) مثل ( فـاعـلـات ) او ( فـمـلـات )  
نادر ومكروه . لا اجادله في ذلك ولكني اعترض على  
تعميمه وقطعه بانها لا ترد في الاشعار قديما وحديثا .  
وهل يدعي الاطلاع على الشعر قديمه وحديثه حتى  
يجزم بذلك ؟

وقال المؤلف في حديثه عن البحر السريع : والقسم  
الثالث من قصائد السريع لم يطرقه شعراؤنا  
المحدثون وانما طرقه بعض القدماء في النادر  
من الابحان مثل قول البحري في مدح المعتز بالله :

بـرحـ بي الطـيف الذي يـسـري  
وزادني سـكـرا الى سـكـري



ابسمال من نحوك الديار وما  
خبر صحب ولا روى اهل  
وقال احمد الصافي النجفي من قصيدة بعنوان  
(فرصة موت) .

دنا من الانكليز مونهو  
فحزروا انفسا اذلوها  
لكي تقيهم حربا بسعرة  
اطار احلامهم نظيها  
صاحوا بكل المستعمرين انت  
ساعة تحريركم فيها الخ ..

وما دينا نتحدث عن البحر المنسرح فنحن حريون  
بالتنبيه الى ان هذا البيت للبحري  
كم خنسين اليك مجلوب

ودمع عين عليك مسكوب  
يخل الوزن اذ ينقصه مقطع قصير في اوله وهو ما  
يسمى عند اهل العروض بالخزم . والشعر الاول على  
صورته الحالية هو من البحر الخفيف : (فاعلان مُنْعِلُنْ  
فَعْلَلُنْ)

وقال المؤلف (ص ٩٨) ما يلي : وقد جاء ابو  
المنشاج وهو من ناز على قواعد العروضيين بنوع من  
المنسرح ينتهي كل اشطره بوزن (علن) بدلا من  
يستعملن كقوليه في قطعة عدتها (١٤) بيتا .

الله اعلى يدا واكبر  
والحق فيما قضى وقدر  
وليس للمرء ما تهنى  
وليس للمرء ما تخير الخ ..

يزعم المؤلف ان هذا الشعر من البحر المنسرح . وكأنه  
غفل انه من مخلع البسيط الذي نظم عليه ابن الرومي  
قصيدته الهجائية المشهورة :

وجهك يا عمر فيه طول  
وفي وجوه الكلاب طول  
وانت من قوم اهل سوء  
قصصهم قصصه نطول  
مستغفلن فاعلن فمحول  
مستغفلن فاعلن فمحول  
بيت كمعناك ليس فيه  
معنى سوى انه فضول

وقد جاء صاحب ديوان ( الملاح الثالثه ) ( يعنى على  
محبوبة له ) بقطوعة من هذا النوع ربما كانت الفريدة  
في الشعر الحديث فلا نعرف غيره من شعرائنا الحديثين  
من نهج هذا النهج . وقد حمل عنوان مقطوعته ( حلم  
ليلة ) وجاء فيها :

اذا ارتقى البدر صفحة النهار  
وضمنا فيه زورق يجري  
وداعبت نسمة من العطر  
على محياك خصلة الشعر  
حسوتها قبلة من الخير  
جن جنوني لها وما ادري الخ ..

وهو يعنى بذلك صورة اخرى للمنسرح غير الصورة  
الاصلية . أما الصورة الاصلية فهي هذه : مستغفلن  
مفعلات ، مُستَعِلُنْ . وهذه هي الصورة الاخرى التي  
اشار اليها المؤلف . يستعمل مفعلات ومفعولن .  
يقول المؤلف ان هذه الصورة هي موجودة في شعر  
العصر . ولا اعرف علام اعتد في حكمه هذا كاتبه .

لم يسمع بان في لبنان وسوريا والعراق شبيها  
بمشهورين كبشرا لا يجوز لعالم منصف ان يتناساهم  
او كان المؤلف لا يعتبر ان في العالم العربي شعراء  
خارج مصر . هو ينفي ان تكون هذه الصورة للبحر  
المنسرح موجودة في الشعر العربي المعاصر . ونحن  
نقول له انها موجودة ويكثر لا تضارع طبعاً كثرة  
البحور الاخرى كالكمال والبسيط والطويل والخفيف  
ولكنها اراء نفيه الصارم الحاسم تعد كثرة . وان كنا  
لا نختلف على الكثرة والقلّة بل على الوجود وعدمه  
الوجود .

قال امين نخله من قصيدة بعنوان (الحبيب الاسمر)  
قرة عيني منعّم اسمر  
امر حسن سبحان من امر  
النهر والجسر ثم موعدنا  
خلف البساتين والهوى اخضر  
ونال من قصيدة بعنوان (رفيق الصبا) :  
اذا كمر انت والنوى تسلو  
ايام كان العبير والظلل  
يا لسوعة الفقد له اقول بها :  
ضاح وداد او خاتني خل

أما إذا أراد المؤلف أن يعرف سر هذا التثمل الذي تحدث عنه العروضيون فليصنع إلى بيت المثلث الآتي :

**يا لبحر أشعروا لي كلبيا**  
يا لبحر أين أين الفسار ؟  
وليتقرأ على الوجه التالي :

**يا لبحر فاشعروا لي كلبيا**  
**يا لبحر فأين أين الفسار ؟**

ماذا يشعر بالنسبة لكل من القارئ ؟ وهل من فرق بينهما ؟ الحقيقة أن الفرق بين القارئين واضح . بين . ففي القراءة الأولى يكون البيت من البحر الحدي . أما في الثانية فيصيح من البحر الخفيف . فالفرق بين الحدي والخفيف أن هو مقطع قصير في هذا البيت وقد يكون طويلا في غيره . لأن ( فاعلن ) التفعيلة الوسطى في البحر الحدي تصبح ( متفعّلن ) إذا أضفنا إليها في أولها مقطعا قصيرا وتصبح ( مستفعّلن ) إذا أضفنا إليها مقطعا طويلا . وكلا التفعيلتين تجوزان في البحر الخفيف .

يقتل بكن في أن الحدي يبدو وكأنه البحر الخفيف صلبا جدا مقطعا . أي أن ( مستفعّلن ) في الخفيف أو ( متفعّلن ) تصبح ( فاعلن ) في الحدي . ولأن الإسراع متعود على نغمة البحر الخفيف فيبدو كل نقص فيه وكأنه ثقل وتخلخل في الموسيقى . ولهذا لم يلفه الشعراء ولم يفتكروا عليه .

وبناء على ما ذكرنا يظهر لنا أن البحر الحدي في صورته الأولى ( فاعلن ، فاعلن ، فاعلن ) يرتبط بعلاقة وثيقة مع الخفيف لا مع الرمل بل نستطيع أن نؤكد أن لا علاقة تربطه بالرمل مهما كانت واضحة في صورته الأولى .

أما في صورته الثانية ( فاعلن ، فاعلن ، فاعلن ) فهو قريب من الرمل بلا شك . وكان على المؤلف أن يميز بين صورتين قبل أن يعتقد أية علاقة بين الحدي والرمل .

أما أن تكون الصورة الثانية للبحر الحدي نادرة فهذا ما لا يؤيده الواقع . ولا أرى للمؤلف وجهه من العذر في قوله : بأن شعرائنا المعاصرين قد أهملوا التنظيم فيه . وانسرفوا عنه إلى غيره من البحور .

وبالنسبة للصورة الأولى فهي بلا شك نادرة

وقد أشار المؤلف إلى مخلق البسيط في موضع آخر من الكتاب ( ص ١١٧ — ١٢٠ ) واعتبر منه قول البارودي :

**هل لسنا العليل رد**  
**أم لصباح اللقاء وعد**  
**أبيت أرعى الدجى بعين**  
**غذاها دمع وسهد الخ ..**

فهل يستطيع المؤلف أن يقول لنا لماذا اعتبر أبيات أبي العتاهية من المنسرح وأبيات البارودي من مخلق البسيط ؟ نحن نعلم أنه لا فرق في التقطيع بين : مستفعّلن ، فاعلن ، فاعلن ، مستفعّلن ، فاعلن ، فاعلن . ولكن كتب العروضي التي تمكنت من الإطلاع عليها لم تشر إلى أن هذا الوزن من المنسرح بل أشارت إلى أنه من مخلق البسيط لما راي الأستاذ المؤلف ؟

وفي حديث المؤلف عن البحر الحدي قال : هذا بحر اعترف العروضيون بقلة المتكلمين عنه وأطلقوا هذا في بعض كتبهم بأن فيه ثقلا . ولا أدري ماذا عنوا بالثقل ونحن نشعر بانسجام موسيقاه ولا نرى فيها ما في المنسرح مثلا من بعض الاضطراب . وأردت قائلا : وفي الحق أن هذا البحر يستحق دراسة خاصة في ضوء بحر الرمل فربما أمكن نسبة ما نظم منه إلى بحر الرمل مع شرح ما فيه من تغير أو تحوير جعله يساند الرمل في تفاعيله . ماذا أمكن هذا لم نتحج إلى بحر تسميه الحدي وإنما هو الرمل في صورة أخرى . ا هـ .

وهذا كلام يحيط به الخلل من جميع نواحيه وهو لا يبدل على نسخ في فهم العروضي والنوغل في اعماقه . أن التثمل الذي تحدث عنه العروضيون في البحر الحدي ثقل واقعي ودلوس وظاهر . ولا أرى سببا لانكار وجوده وعدم نيلسه إلا فقدان الحاسة الموسيقية المرحنة . والأما قول المؤلف في وزن حجره الشعراء ولم ينظروا فيه ؟ وما السبب في حجر الشعراء له وعزوفهم عنه ؟ أليكون لذلك سبب الاثقل وتخلخل موسيقاه ؟ ونحن هنا إنما نتحدث عن الحدي في صورته الأصلية . فاعلن ، فاعلن ، فاعلن . أما صورته الأخرى فلها حديث آخر .

شوقتي بمنهم . وقد يكون ادق واقترب الى المنهج العلمي ان نقول ان هذه الاحصاءات مبنية على ما في ديوان شوقي من اوزان وبما ان شوقي شاعر جليل ، لذلك فان هذه الاحصاءات تكون ...  
الشعر المعاصر .

وقد يعترض علينا اقدمهم بقوله ان ما جسدناه من بحور واوزان قليل ولا يطعن في الاحصاءات التي ذكرها الدكتور . وجوابنا ان تصدنا كان كسر صفة الاطلاق في احكام الدكتور فحينها كان يقول : لم يقل شاعر على هذا الوزن ونجد للشاعر واحد ثلاث تصانيف في ديوان واحد فان هذه الظاهرة لها دلالتها التي لا نذكر .

هذا من ناحية ومن ناحية اخرى فاننا لو اردنا ان نقوم باحصاء شامل فحقن وانقوت اننا نستطيع ابطال معظم النتائج التي توصل اليها بناء على ما اوردناه في الصفحات السابقة . فيطلب على ظني انه اجري احصاءات على ديوان شوقي خاصة او على الشعر العربي عامة ولكنه لم يخرج الى العالم العربي باية احصاءات الى الان .

وقبل ان انهي تعليقي هذا اود ان اعبر عن نفوري من الاساليب الاحصائية في دراسة الشعر والادب . ولا ارى منها جدوى ترجى فهي ترمي هذا الموضوع الحيوي بالجفاف والعمق وتجعله ملاما منفرا وتسلبه عنصر الاغراء والتشويق . ان علم الاحصاء في الشعر والادب ظاهرة خطيرة جدا ولا تدل على بشائر خير ابدا اذ ماذا يمتسا ان نعلم .م بيتا من الشعر قيل في السرج والدرس والدرع وكلم بيتا قيل في معركة كذا . ماذا يهمنا ذلك كله وقد ورد في احد الكتب الادبية التي صدرت قبل بضعة اعوام ونشرت على الجامعات لندرس ؟ هل المقصود ان نحشو ادمغة الطلبة بالشعر مهما كان بانية وسبيلة ؟

وفي الختام ارجو ان يتقبل الدكتور ابراهيم انيس ملاحظاتي واعتراضاتي وان يعتبرها جهدا في خدمة الشعر العربي والسلام .

جميل علوش



بل غير موجودة . والسبب في ذلك ما في البحر المديد من نقل اشار اليه العروضيون وانكره المؤلف فانيبتناه وبينناه . اما الصورة الثانية فهي شائعة وموجودة وهو لا يستطيع ادعاء الاحاطة بشعر العصر حتى يخرج بمثل هذا الحكم المطلق .

قال سليمان العيسى من قصيدة بعنوان ( الغريق ) من ديوان ازهار الضياع :

كان يطفو ثم ينحدر  
والضحى بالموت معتكر  
كان في السج العبيق صدى  
باحثا بنهار يحتضر  
غشه وهم فطار له  
مقتلين السبع والبصر

وقال من قصيدة اخرى بعنوان ( ثورة ) من الديوان نفسه .

صفقوا لموا اماتيسكم  
عن دروب اللينة لن نقلا  
باركوا واستقبلا غدنا  
زعم الساحات والشرفا  
واهتفوا قلبا وحجيرة  
يصنع التاريخ من هفنا الخ .

واحب ان ائبه هنا الى ان ملاحظاتي هذه لم تكن نتيجة عمل واجتهاد وتحقيق وتوثيق بل جاءت عفوا والخاطر ودون الرجوع الى مكتبة معينة . فلم يكن قصدي ان اعد احصاءا لاتقش على الدكتور ابراهيم انيس احصاءاته غير العلمية . بل اكتفيت بالاعتماد على ذاكرتي لاتتقن كل قصيدة احفظ منها ولو بيتا واحدا يبحرنا في ذهني . وقد انكر اني للشاعر الفلاني قصيدة من البحر المشرع مثلا في ديوانه الفلاني دون ان اذكر من القصيدة بيتا واحدا وهذا يسهل لي الرجوع الى القصيدة حالا .

نستنتج من كل ما ذكرت ان احصاءات الدكتور ابراهيم انيس قابلة للتغيير وانها ليست احصاءات علمية . فليس يصح ان تجري احصاء للاوزان في ديوان شوقي ثم نعلم ذلك على شعراء العصر على ان

# مقياس الوحدة في النقد الأدبي

٢

«النبوء» ، وهو عنده ان يطول المعنى عن ان يحتل العروش تمامه في بيت واحد ، فيقطعه بالقافية ، ويضمه في البيت الثاني . وقد سمي ابو هلال العسكري مثل ذلك «التضمين» ولم يقتصر على الشعر ، بل اشرك معه في ذلك قواعد النثر ، فقال في معنى «التضمين» هو ان يكون الفصل الاول منتقرا الى الفصل الثاني ، والبيت الاول محتاجا الى الاخير ، ومثل له بقول الشاعر :

كان القلب ليلة قيل يغفدى

يليلى المصاهرة او يـحـراج  
قطاة غرها شرك فباتت

تجاذبه ، وقد علق الجناح فلم يتم المعنى في البيت الاول حتى اتيه في البيت الثاني ، وذلك عنده قبيح ، كما مثل له من النثر بقول بعض الكتاب : «... وجعل سيدنا اخذا من كل ما دعى ويدعى به في الامبياد ، باجزل الانقسام واوفر الاعداد» (٢) . ويرى ابن رشيق ان التضمين هو ان تتعلق القافية او لفظة مما قبلها بما بعدها كتول النابغة الذبياني :

وهم وردوا الجفار على تميم

وهم اصحاب يوم عكاظ انى  
شهدت لهم مواطن صالحات

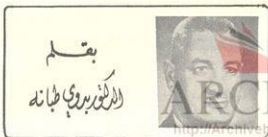
شهدن لهم بحسن الظن منى

ولم سر البلاغة في الاختصار والتركيز ما يقوله جنج "Genung" وهو ان اول دافع لكثرة الشعور — سواء اكان ذلك في النثر ام كان في الشعر — وان كان في الشعر اكثر قليلا — هو الاسراع الى مركز الفكرة باقل ما يمكن من الكلام ، وللوصول الى هذا يجب ان يوجه الهجوم المركزي الى الالفاظ الرمزية بفكرة جعلها على اقصى ما يمكن من الخفة والسرعة وعدم النول ، حتى تتساح بذلك فرصة لابرار الالفاظ ذات المعاني الرئيسية ، وعلى ذلك فان هذا الباعث الاول له علاقة بالحركة ، وان قوته في الشعور تبعث قوة في تعاقب الالفاظ . (١)

فاذا بدا لبعض النقاد العرب ان يبدووا اعجابهم باستيعاب البيت من الشعر او «مض البيت معنى كاملا ، جريا وراء ذلك الإيجاز ، ونشدانا للاشجاعة والتركيز ، فان ذلك لا يدعو الى مثل ذلك التحويل في انتقاص قدرتهم على تذوق الشعر ، او ضعف ادانهم في نقده وتقديره» .

وعلى ذلك الاساس كان من اولئك النقاد العرب من استحسن استقلال البيت واستيعابه لمعناه ، وعاب على هذا الاساس ايضا افتقار البيت من الشعر الى البيت الذي يليه ليكمل به معناه . وقد جعل تدابة بن جعفر من عيوب الثلاث معاني الشعر مع اوزانه ما سواه

ولا تتناثر اجزأؤه قول الاجرد التفتي :  
 من كان ذا عضد يدرك ظلاله  
 ان الذليل الذي ليس له عضد  
 تنبو يدها اذا ما قل ناصره  
 ويأنف الضيم ان اثرى له عدد  
 وقول ابي حية التبري :  
 رمني وسر الله بيني وبينها  
 عشية ارام الكناس رهيم  
 رهيم التي قالت لجارات بينها  
 ضمنت لكم الا يزال يهيم  
 الا رب يوم لو رمني رهينا  
 ولكن عهدي بالفضال قديم  
 وقال عبدالله بن سالم لرؤبة ابن المعاج : مت يا ابا  
 الجحاف اذا شئت !  
 قال : وكيف ذاك ؟  
 قال : رايت اليوم عقبة بن رؤبة ينشد شعرا له  
 اعجبني !



فقال رؤبة : نعم ! انه يقول ، ولكن ليس لشعره  
 يران ! يريد انه لا يقارن البيت بشبهه .  
 وروى الجاحظ وابن قتيبة ان عمر بن لجا قال  
 لبعض الشعراء : انا اشعر منك ! قال : وبم ذاك ؟  
 قال : لاني اقول البيت واخاه ، وانت تقول البيت  
 وابن عمه !  
 ويصرح ابن قتيبة بان من اشارات التكلف في  
 الشعر ان ترى البيت فيه مقرونا بغير جاره ، ومشموها  
 الى غير لقائه ... (٤)

وفي قصائد الشعر التي يبدو فيها تعدد الاغراض  
 حاول ابن قتيبة ان يعقد صلات بين تلك الاغراض ويبين  
 ان بعضها بسبب من بعض ، وان المتأخر منه نتيجة  
 لما تقدمه من الاغراض ، فنزل عن بعض اهل الادب ان  
 يقصد التمسيد انها ابتدا فيها بذكر الديار والذين  
 والانسار ، فيكي وشكا ، وخطب الربيع ، واستوقف  
 الرفيق ، ليحمل ذلك سببا لذكر اهلها الضامتين عناء،

قال : وكلما كانت اللفظة المتعلقة بالبيت الثاني بعيدة  
 من الغافية كان اسهل عيبا بين النظمين ، ويقرّب من قول  
 النابغة قول كمب بن زهير :  
 ديسار التي بنت حبالي وصرمت  
 وكنت اذا ما الحل من خلة صرم  
 فزعت الى وجناء حرف كاتها  
 بأقربها قار اذا جلدها استحم  
 واخف من هذا قول ابراهيم بن هرمة :  
 اما تريني شاحبا متبذلا  
 كالسيف يخلق فنتفه فيضيغ  
 فرب لذة ليلة قد نلتها  
 وحرامها بحلالها مدفوع  
 وليس منه قول ميم بن نويرة :  
 لمعري وما دهرني بتأبين مالك  
 ولا جزعا مما اصاب فاجعما  
 لقد كفن المهال تحت رداءه  
 فني غير مبطان العشيات اروعا  
 ويبدو ان ابن رشيق كان لا ينظر الى هذا المقياس  
 - بمقياس الوحدة في البيت واستقلاله عما قبله وما  
 بعده - نظرة قدامة وابي هلال وغيرهما من الذين  
 يمدون افتقار البيت الى غيره عيبا قبيحا ، بدليل  
 قوله انه ربما حالت بين بيتي النظمين ابيات كثيرة ،  
 بقدر ما يتسع الكلام ، وينبسط الشاعري في المعنى ،  
 ولا يضره ذلك اذا اجاد (٣) .  
 ولعلنا استغنينا بذلك عن ايراد ما قيل من  
 الفكرة ، وان نوضحها ، ونبين اسرارها ونفوذها  
 نظن انه حجة الذين دعوا اليها .

ولكننا مع ذلك نخطئ اشد الخطأ اذا تصورنا  
 ان هذه الفكرة وحدها في وحدة البيت واستقلاله هي  
 المقياس الاوحد عند عابة النقاد العرب ، وانه  
 لا راي عندهم سوى القول بوحدة البيت ، فقد اثر عن  
 كثير من نقادهم كثير من الاموال المربحة التي يبدو  
 فيها الحرص على الوحدة والتباسك بين الاجزاء  
 او الوحدات التي يتألف منها العمل الادبي .

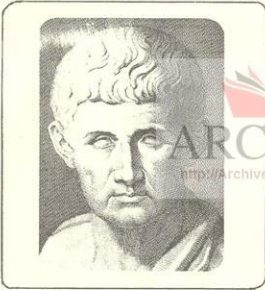
وقدما تحدث نقاد العرب عن « القرآن » في  
 الشعر ، وهو الموافقة والشابهة بين ابياته ، بحيث لا  
 يكون في الشعر ما هو غريب عنه ، وانما تكون الساطلة  
 متوافقة ، ومعانيه مترابطة ، ماذا اخذ الشاعر في معنى  
 فلا ينبغي ان يدخل فيه ما لا علاقة له به ، حتى الانفاظ  
 اوجبوا فيها المشاكلة وبهذه المشاكلة اللفظية والمعنوية  
 يتم الترابط بين اجزاء العمل الشعري ، ويرون ان ذلك  
 سمة من سمات الجودة ، وانه لا يتوافر الا في تشاج  
 الشعراء الملبوعين ، وانشدوا فيها لا بتباين المألته ،



يصرح بقوله :

« وأحسن الشعر ما ينتظم القول فيه انتظاماً ينسق به أوله مع آخره على ما ينسقه قائله ، فإن قدم بيت على بيت دخله الخلل كما يدخل الرسائل والخطب إذا نقض تأليفها ، فإن الشعر إذا أسس تأسيس فصول الرسائل القائمة بأنفسها ، وكلما كانت الحكمة المستقلة بذاتها ، والإشغال السائرة الموسومة باختصارها لم يحسن نظمها .. »

بل يجب أن تكون القصيدة كلها ككلمة واحدة في اشتباه أولها بآخرها ، تسجاً وحسناً وبمناجاة ،



وجزالة الفاظ ، ودقة معان ، وصواب تأليف . ويكون خروج الشاعر من كل معنى يصنعه الى غيره من المعاني خروجاً لطيفاً .. حتى تخرج القصيدة كأنها مفرقة افراصاً واحداً .. لا تناقض في معانيها ، ولا وهي في معانيها ، ولا تكلف في نسجها ، تقتضي كل كلمة ما بعدها ، ويكون ما بعدها متعلقاً بها ، مفقراً إليها .

فإذا كان الشعر على هذا المثل سبق السامع الى توافيقه قبل أن ينتهي إليها راويه . (٦)

ويستفاد من هذا القول المفصل أمور منها :

١ - أن شأن الشعر يختلف عن شأن الرسائل

أذ كان نازلة المعدي في الحلول والظعن على خلاف ما عليه نازلة الدر ، لانتقالهم عن ماء الى ماء ، وانتجاعهم الكلا . وتتبعهم مساطق الغيث حيث كان . ثم وصل ذلك بالنسيب ، فشكا شدة الوجد والم الفراق ، وفرط الصباية والشوق ، ليميل نحوه القلوب ، ويصرف اليه الوجوه . وليستدعي به اسفاء السامع اليه ، لأن التشبيب قريب من النفوس ، لا تط بالقلوب ، لما قد جعل الله في تركيب العباد ، من محبة الغزل والفت النساء ، فلا يكاد أحد يخلو من أن يكون متعلقاً به بنسيب ، وقسارياً فيه بسهم حلال أو حرام .

فإذا علم انه قد استوتق من الاسفاء اليه ، والاسئاع له ، عقب باجواب الحقوق ، فغرل في شعره ، وشكا التصب والسمير ، وسرى الليل ، وجر الهجير ، وانشاء الرحلة والبعير . فإذا علم انه قد اوجب على صاحبه حق الرجاء ، وتبسية التأمل ، وقرر عنده ما ناله من المكاره في المسير ، بدا في المديح ، تبعته على المكافاة ، وحضره للسباح ، وفصله على الاشياء ، وصغر في قدره الجزيل .. (٥)

ولعل من اقدم ما اثر عن النقاد العرب ، وأكثره سراحة ووضوحاً في الفطرة الكلية للشعر ، في ضرورة مراعاة الوحدة والتجانس بين ابيات القصيدة ما قاله ناقد كبير معهود في سليمة النقاد العرب ، وهو ابن طباطبا العلوي (ت ٣٢٢ هـ) في كتابه « عيار الشعر » ومما جاء فيه :

« ينبغي للشاعر أن يبادل شعره . ويتشويق ابياته ، ويقف على حسن تجاورها او قبحه . فيلائم بينها . لانتظام له معانيها . وينسل كلامه بينها . ولا يجعل بين ما قد ابتدأ وسلفه وبين تمامه فصلاً من حشو ليس من جنس ما هو به . فينبغي السامع المعنى الذي يسوق القول اليه . كما انه يحذر من ذلك في كل بيت ، فلا يساعد كلمة عن اجنبا . ولا يحذر بينها وبين نهاها بخلو يشينها . وينفقد كل مصراع ، حل يشاكل ما قبله ؟ غريباً انفق الشاعر بيتان يضع مصراع كل واحد منهما في موضع الآخر . فلا يثبت على ذلك الا من دق نظره . والله مهمه .. وربما وقع الخلل في الشعر من جهة الرواة والناسخين له ، فيسمعون الشعر على جهة . ويؤدونه على غيرها سهواً ، ولا يتفكرون حقيقة ما يسمعه منه .. »

ويعد أن يورد ابن طباطبا عدداً من الامثلة لما نقد المشاكلة في نظم الشعراء او في رواية النساخين



في وحدة العمل الشعري رأي ناقد عربي آخر من علماء  
الآداب في القرن الرابع الهجري ، وهو الخليلي  
( ت ٣٨٨ هـ ) الذي شبه القصيدة في مجموعها بجسد  
الإنسان ، فقال : مثل القصيدة مثل الإنسان في اتصال  
بعض أعضائه ببعض ، فتمتئ الاتصال واحد من الآخر ،  
وبأنه في صفة التركيب ، غادر الجسم ذا عاهة  
تتخون محاسنه ، وتعنى معالاه .. قال : وقد وجدت  
حذاق المتقدمين ، وأرباب الصناعة من المحدثين  
يحتسرون في مثل هذا الحال احتراسا يجنبهم شوائب  
التقصان ، ويقت بهم على محجة الإحسان ، حتى  
يقع الاتصال ، ويؤمن الانفصال ، وتأتي القصيدة  
في تناسب مسدورها وأجزاءها ، وانتظام نسيبها  
بمدحها كالرسالة البليغة والخطبة الموجزة ، لا ينفصل  
منها جزء عن جزء . وهذا مذهب أخص به المحدثون ،  
لثبوت خواطرهم ، ولطف أفكارهم ، واعتقادهم بالديع  
وأثباته في أشعارهم ، وكأنه مذهب سهلا حزنه ،  
ومهجوا دارسه . (٩)

وفي هذا الكلام إشارة إلى أن الوحدة الفنية  
بوجوده بمبطنيتها في الرسائل وفي الخطب الموجزة ،  
بمجلس الخطب الطويلة التي يكثر فيها الاستطراد ،  
وتتعدد الأجزاء . أما الشعر فإن الحرص على  
تحقيق الوحدة فيه يتفاوت فيه الشعراء على حسب  
مرايتهم من الإجادة والقدرة على الإبداع .

والى مثل ذلك من وجوب الانحجام بين أجزاء  
الآدم ، وتقديره على أساس النظرة الكلية ، أشار  
عبدالقاهر الجرجاني في أكثر من موضع من كتابيه  
ومن الواضح أن فكرة الوحدة التي يدعو إليها النقاد  
تلائم فكرة النظم التي نادى بها عبدالقاهر وفلسفها  
في هذين الكتابين ، فقد ذكر أن الزينة تعرض للكلام  
بسبب المعاني والأغراض التي يوضع لها الكلام ، ثم  
بحسب موقع بعضها من بعض ، واستعمال بعضها مع  
بعض .. فليس من فصل ومزية إلا بحسب الموضع ،  
وبحسب المعنى الذي تريد ، والغرض الذي تؤم .

وأما سبيل هذه المعاني سبيل الإصباغ التي  
تعمل منها الصور والتقوس ، فكما أنك ترى الرجل قد  
تهدى إلى الإصباغ التي عمل منها الصورة والتقوس  
توبه الذي نسج إلى ضرب من التخير والتذير في أنفاس  
الإصباغ ومواقفها ومقاديرها ، وكيفية مزجها لها  
وترتيبها أباهما إلى ما لم يتهدى إليه صاحبه ، فجاء نقشه  
من أجل ذلك أعجب ، وصورته أغرب كذلك حال الشعائر  
والشاعر .

القائمة بأنفسها ، وعن كلمات الحكمة المستقلة  
بذاتها ، وعن الأمثال السائرة الموسومة باختصارها .  
ومعنى ذلك اختلاف طبيعة الشعر عن طبيعة  
تلك الفنون ، أي أنه لا عبسرة بوحدة الأجزاء ، أو  
وحدة كل بيت في العمل الشعري ، وأن العمل الشعري  
إذا كان ينظر إليه أو يحكم عليه باعتبار نشدان الحكمة  
والمثل السائر فيه لم يحسن نظمه ، ولم يقع  
بموقعه .

٢ - النص الصريح على أن القصيدة كلها  
ينبغي أن تكون كالكلمة الواحدة في تشابه أجزائها من  
حيث مشكلة اللفاظ ووحدة المعاني .

٣ - التحذير من الحشو بين أجزاء العمل  
الشعري ، أو إدخال معان ليست من جنس ما أخذ  
الشاعر فيه ، حتى يستمر السامع في متابعة التجربة  
التي أراد الشاعر التعبير عنها في قصيدته .

٤ - أن أجود الشعر ما كان متلاحم الأجزاء بحيث  
إذا قدم جزء من أجزائه عن موضعه الطبيعي اختل  
نسقه ، واضطرب معناه .

٥ - أن الشاعر إذا اضطرب إلى الاستطراد أو  
الخروج عن الموضوع الذي أخذ فيه ، عليه أن يحسن  
التخلص أو الخروج بلفظ ، حتى لا يفسد السامع  
أو السامع بذلك الخروج ، ولتبدو له الجمالية  
وكنها أغرت أفراسا واحدا « تقتضي كل كلمة ما  
بعدها ، ويكون ما بعدها متعلقا بها ، مفتقرا إليها » .



وما أقرب كلام ابن طباطبا في هذا الموضوع من  
قول العقاد « أن القصيدة ينبغي أن تكون عملا فنيا  
ناما ، يكمل فيه تصوير خاطر أو خواطر متجانسة ، كما  
يكمل النماذج بأعضائه ، والصورة بأجزائها ، واللحن  
الموسيقى بأنماطه ، بحيث إذا اختلف الوضع أو  
تغيرت النسبة اخل ذلك بوحدة الصنعة والسدح » . (٧)  
وتنشأ وحدة المحاكاة - عند أرسطو - من  
وحدة الموضوع ، كذلك في الخرافة ، لأنها محاكاة عمل .  
وأوجب أرسطو أن يكون العمل واحدا وأن يكون ناما ،  
وأن يؤلف ، الأجزاء بحيث إذا نقل أو بتر جزء انقطع عقد  
الكل وتزعزع ، لأن ما يمكن أن يضاف أو الأضاف  
دون نتيجة لمؤسدة لا يكون جزءا من الكل . (٨)  
وهكذا نرى التواء الأفكار حول موضوع الوحدة  
في العمل الشعري ، وضرورة الترابط بين أجزائه .  
ونستطيع أن ننسب إلى رأي ابن طباطبا السابق





لا غير .

والفكر المسجوعة التي يرتبط بعضها ببعض قد وردت في القرآن الكريم في مواضع منه ، فمن ذلك قوله عز وجل في سورة الصافات « فأتيت بعضهم على بعض يتساءلون ، قال قائل منهم اني كان لي قرين ، يقول انك لمن المصدقين ، انذا متنا وكنا ترابا وعظاما اننا لمدنيون » .

هذه الفقرات الثلاث الأخيرة مرتبطة بعضها ببعض فلا تنفهم واحدة منها الا بالتي تليها . وهذا كالإبيات الشعرية في ارتباط بعضها ببعض ، ولو كان عيبا لما ورد في كتاب الله عز وجل .

وكذلك ورد قوله تعالى في سورة الصافات ايضا « فانكم وما تعبدون ، ما انتم عليه بفانئين ، الا من هو سال الجحيم » . فالإيتان الأوليان لا تفهم احداها الا بالآخرى .

وهكذا ورد قوله عز وجل في سورة الشعراء « امرأت ان متعاهم سنين ، ثم جاءهم ما كانوا يوعدون ، ما اغنى عنهم ما كانوا يمتعون » . فهذه ثلاث آيات لا تفهم الأولى والثانية الا بالثالثة الا ترى ان الأولى والثانية في معرض استفهام ، والجواب هو في الثالثة .

ومما ورد من ذلك شعرا قول بعضهم :  
ومن القلوى التي ليس لها في الناس كنهه  
ان من يعرفه شيئا

يدعى أكثر منه

الا ترى ان البيت الاول لم يثم بنفسه ، ولا يثم معناه الا بالبيت الثاني ؟ وقد استعمله العرب كثيرا ، وورد في شعر نحول شعرهم(١٢) .



ولعل في هذا التتبع الذي لا نزع انه يحيط بكل ما قيل في هذا الموضوع ما يكفي لإبراز فكرة الوحدة وقياس الشعر بمقياسها من وجهة نظر النقد العربي . وقد رأينا فيها فصلناه ان النقد العربي لم يلتزم باتجاه معين ، او رأي واحد تجاه ذلك المقياس ، فكان في النقد من أثر القول الموجز مفقوتا بفكرة المثل السائر ولذلك عد الانتداز على تاليف الإبيات المحكية والأجزاء المنقطة من آيات الشاعرية المطبوعة ، والقرينة النفاذة .

والحقيقة ان النظرة هنا ليست مقصورة على جانب المصياغة والتوالب الشعرية وحدها ، بل هي

وذلك التبع من الكلام ، الذي تتحد اجزاؤه حتى يوسع ونسعا واحدا ، هو النمط العالي ، والسبب اعظم ، والذي لا ترى سلطان الزية معظم في شيء كعظمه فيه - كما يسهه عبدالقاهر - وهو الكلام الذي ترى الزية في نظمه الحسن كالأجزاء من الصيغ تتلاحق ، وينضم بعضها الى بعض ، حتى تكسثر في العين ، فانت لذلك لا تكسر شأن صاحبه ، ولا تقضي له بالحذف والاسنافية ، وسبعة الذرع ، وشدة المنة ، حتى تستوفى القطعة ، وتأتي على عدة ابيات .. (١٠)

فقد ذهبت في هذا الكلام فكرة البيت الواحد ، لنحل محلها فكرة القطعة والإبيات الكثيرة ، التي تملأ النفس ، وتمتع العين ، كما يتمتع النثس المتصل ، والمور المتلاحقة ، التي لا عبرة بجزء من اجزائها الا اذا انضم الى سائر الأجزاء ، فكانت الصورة الكاملة ، او مجموعة الصور ..

فإذا سرتنا مع الزمن وتبعنا فكرة الوحدة في العمل الشعري الفهنا بين علماء الادب من تصدى لنكسرة الوحدة في البيت واستفادها عما سواه ، ومن فقد حجة القائلين بالمعيب في انقصار البيت من الشعر الى غيره ليعتم معناه .

وقد سبقت الإشارة الى كلية ابن رشيق (ت ٦٣٠ هـ) التي يقول فيها انه ربما خلت بين بيتي التضمين ابيات كثيرة ، بقدر ما يتسع الكلام ، وينبسط الشاعر في المعاني ، ولا يضره ذلك اذا اجاد .. (١١) ولكن شياء الدين بن الاثير (ت ٦٣٧ هـ) كان اوضح رأيا ، ووضح تحليل لما رآه من ان التضمين ، وهو انقراض البيت الى غيره ليعتم معناه ، ليس عيبا من عيوب الشعر ، فقد ذكر ان المعيب من التضمين عند قوم هو « تضمين الاسناد » الذي يقع في بيتين من الشعر ، او فصلين من الكلام المنثور ، على ان يكون الاول منهما مستندا الى الثاني فلا يقوم الاول بنفسه ، ولا يثم معناه الا بالثاني ، وهذا هو المندود من عيوب الشعر .

وصرح ابن الاثير بان ذلك عنده غير معيب ، لانه ان كان سبب عيبه ان يعلق البيت الاول على الثاني فليس ذلك بسبب يوجب عيبا ، اذ لا فرق بين البيتين من الشعر في تعلق احدهما بالآخر وبين الفقرتين من الكلام المنثور في تعلق احدهما بالآخرى ، لان الشعر هو كل لفظ موزون مقفى دل على معنى ، والكلام المسجوع هو كل لفظ دل على معنى ، فالفرق بينهما يقع في الوزن



ذاتها ، اذ كان فيها ما يجمع الأفكار والخواطر المتعددة ، كما كان فيها ما حرص الشاعر على ان يودعه فكرة واحدة ، او يعبر فيه عن تجربة واحدة .  
ويأتي بعد ذلك النقاد ليجدوا في هذا او ذاك ما يبعث على الرضا ، وما يثير الاعجاب ، فلا يرفضون هذا ، ولا ينكرون ذلك ، ما دام فيه الجمال الذي يشدونه بجذعها ، او مقنسها على وحدات .



وينبغي ان يكون مفهوما اننا في هذا الحديث عن

ايضا مسألة المعنى المسقوط المركز في اقل ما يمكن من صور التعبير والاداء .

ومن من الناس لا يشتبه ان يقطع من كلامه ما يعجب الناس ويجري على السنتهم ، ليصبح مثلاً خالداً او حكمة تعيش مع الناس ، وتتجدد مع الزمن لا كما كان منهم اصحاب النظرة الكلية الذين يقدرون العمل الشعري على اساس وحدته في ترابط معانيه ، وتشاكل فئاته .

ولا يعني ذلك الترابط الذي اوجبه طائفة من كبار النقاد شيئاً غير وحدة المعاني ، او وحدة الموضوع ،



الوحدة عند نقاد العرب ، سواء اكانت وحدة البيت ام كانت وحدة القصيدة ، لا تقتصد بهذه او تلك عقد صلة بين هذه الأفكار والأفكار التي كتبها ارسطو في كتاب الشعر عن الوحدة التي جعلها من المقومات الاساسية في بناء المأساة بخامسة وفي المسرحيات والملاحم بعبارة ، وكان حديثه عن الوحدة في معرض حديثه عن المأساة التي عرفها بأنه محاكاة فعل نبيل تام له مدى معلوم او مدة محدودة ، فينبغي ان يكون للباساة طول مناسب ،

او وحدة التجربة التي عبر عنها الشاعر قريبا الف من اعماله الشعرية .

وكما ان وحدة جسم الكائن الحي لا تنفي كونه مؤلفا من اجزاء يكل بعضها بعضا ، ويؤدي كل منها وظيفته بمعاونة سائر اعضاء الجسد ، كذلك القصيدة او العمل الشعري لا يؤدي غايته الا اذا تضاهت اجزأؤه وانطلقت لتحقيق تلك الغاية .

وانما اختلفت النظرتان لاختلاف الاعمال الشعرية



أرسطو لم يحاول تطبيق ذلك المقياس الذي قاس به جودة الشعر على الشعر الغنائي . بل أن هذا الشعر الغنائي لم يتم له دراسة في كتاب الشعر كما وصل إلينا . ومن هنا كان علينا أن نتوقف ، وأن ننظر نظرية ماثية عندما نحاول تطبيق ذلك المقياس على الشعر الغنائي في أدبنا العربي قديمه وحديثه على السواء ، إذا كان لابد من الحرص على تطبيق ما أراد أرسطو من المقياس بعد هذا الزمن السحيق الذي يفصل بيننا وبينه ، لا لشيء مما تقتضيه طبيعة الاختلاف بين الفنون الانسانية فحسب ، ولكن لأن أرسطو لم يحاول تطبيقه على ما عرف من الشعر الغنائي في الادب اليوناني . فما بالنا نريد ما لم يرد صاحب القول بالوحدة العضوية ؟

على أن هنالك فريقا من النقاد يصرون على حرية الاديب ، ويرفضون تلك القواعد التي يضعها التباد لهذا الفن أو ذلك من الفنون الادبية ، ومنهم الدكتور طه حسين الذي يؤثر أن يقول انه من انصار الحرية في الادب ، هذه الحرية التي لا تؤمن بالقواعد الموسوعة ، والحدود المرسومة ، والقيود التي يفرضها أرسطو ، فتنشره للادب في العصور الحديثة ، كما شرع أرسطو بالثبات للادب في العصر القديم .. وانما الاثر الادبي عند الدكتور طه هو هذا الذي ينتجه الكتاب أو الشاعر كما استطاع أن ينتجه ، لا يعرف له قواعد ولا حدود الا هذه القواعد والحدود التي يفرضها على الاديب مزاجه الخاص ، وفنه الخاص ، وهذه الظروف التي تحيط بمزاجه وفنه ، فتصور اثره الادبي في الصورة التي يخرجها منها للناس ، وقد يخرجها شيئا ما لا يستوون هذه الشروط كلها أو بعضها .. ثم يقول : وحسبنا منه أن ينتج ما نقرؤه ، فنجد في قراءته هذه اللغة الفنية العليا التي يتركها الاثر الادبي المتبع من النفوس .. انما اقرا الادب بقلبي وذوقي ، وبما اتيسح لي من طبع يحب الجمال ، ويطلع الى مثله العليا (١٣) ومع تلك الحرية التي ينبغي أن يتمتع بها الاديب ، ومع اثر الطبع والذوق في ايجاد تاليف الاعمال الفنية ، وائر الطبع والذوق في تلقي هذه الاعمال ، ارى ان المتلقي لثلك الفنون كثيرا ما يسائل نفسه عن اسباب الاستحسان أو اسباب التاثير ، ومن الاجابة على هذه التساؤلات تكون مجموعة تلك التواعد التي يضعها الناقد لهذا الفن أو ذاك .

ولكن طبيعة هذا الشعر الغنائي لا يمكن أن تخضع لها يخضع له الشعر المسرحي أو الشعر المحيي من

وأن تكون حكاية كاملة متصلة الاجزاء أو الحلقات ، لا مجموعة من الاحداث المعارضة .

والفعل التام — كما ذكره أرسطو — هو ما له بداية ووسط ونهاية .

وقال أن كل شيء جميل ، سواء اكان كائنا حيا ام شيئا يتكون من اجزاء يجب أن ينطوي على نظام يقوم بين اجزائه ، والجميل يقوم على العظم والنظام ، ويجب أن يكون طول المأساة كافيا بحيث يسمح لسلسلة الاحداث التي تتتابع وفقا لاحتمال أو للضرورة أن تحقق التحول وانتقال البطل من الشقاء الى النعيم ، أو من النعيم الى الشقاء .. وكما في مسائر فتون المحاكاة تنشأ وحدة المحاكاة كذلك في الخرافة ، لانها محاكاة فعل ، يجب أن يكون الفعل واحدا وتاماً ، وأن تؤلف الاجزاء بحيث اذا نقل أو بتر جزء انقطع عقد الكل وتزعزع ، لأن الجزء الذي يمكن أن يضاف لا بد أن يكون له نتيجة ملبوسة في بناء الخرافة ، اما ما لا يكون له نتيجة ملبوسة فانه لا يكون جزءا من الكل .

وكذلك المحاكاة في الملاحم يجب أن يكون فيها ما يجب في الماسي ، وهو أن تؤلف الخرافة بحيث تكون درامية ، وتدور حول فعل واحد تام له بداية ووسط ونهاية ، لانه اذا كان واحدا تاما كالكلال التي تنبع اللغة الخاصة به ..

وقد جاء حديث أرسطو عن هذه « الوحدة العضوية » في معرض حديثه عن « المأساة » التي جعل هدفها إثارة شعور الرحمة والخوف ، والتي تعتمد على ما يسمى « العقدة » وهي ذروة تشابه الاحداث في المأساة وتقعدها بحيث تستلزم مشاعر الرحمة والاشفاق على مصير البطل في نفوس جمهور المتفرجين الذين يسلمهم تتابع الاحداث الى اللفة على مصر البطل ، أو الى حل العقدة التي احكم تالزم المأساة تاليها .

ومن الواضح أن المأساة ، أو أي عمل درامي ، لا يمكن أن تحقق شيئا من غاياتها اذا فقدت البناء المحكم الذي تتتابع فيه الاحداث ، وتتسلسل الوقائع ، بحيث يبنين بعضها على بعض ، ويؤدي كل جزء من اجزاء العمل الدرامي دوره في هذا التسلسل بحيث يكون مقدمة لما بعده ، ونتيجة لما قبله .

وذلك يسبق تباها في كل عمل درامي كالمحبة والقصة والمسرحية بكافة انواعها ، ولا يتصور أن يكون عمل من تلك الاعمال من غير أن تتوافر فيه الوحدة العضوية .

والمتبع لكلام أرسطو في كتاب الشعر يلاحظ أن



وأما عن وحدتي الزمان والمكان فمن البين أن شوقي لم يخضع لهما ، ففي مسرحية واحدة كملى بك الكبير تنتقل مشاهد الرواية من القاهرة الى عكا الى الساحلية . ومن البين أن مثل هذا الانتقال لا يمكن أن يتم في أربع وعشرين ساعة . ونحن لا نرى ضيرا في خروج شوقي على هاتين الوحدتين اللتين نسميها الكلاسيكيون الى ارسطو تعسا وبهتاناً ، وإنما يشير المؤلف المسرحي تفكك مسرحياته بالعدم وحدة الموضوع وتوثق الارتباط بين أحداثه المختلفة اذا تعددت ذلك الأحداث (١٥) .

ونكتفي بهذين المثالين المتقاربن في النظرة الى الشعر المسرحي ، ومحاولة تطبيق مقياس الوحدة عليه ، وقد قلنا ان الشعر المسرحي هو المجال الطبيعي لذلك التطبيق .

أما الشعر الغنائي الذي يعبر عن احساس الشاعر وخواطره وانفعالاته فان من العسير ان تحصر تلك الاحاسيس والمشاعر ، ما دامت الخواص مختلفة ، وما دامت تنتقل كما تنتقل الخواطر في القلوب . وتتداعى المعاني في الادهان ، الا عند عدد قليل من اولئك الشعراء الذين عرفوا بالتمتع . والقدرة على استنشاء اجزاء المفردة فان هؤلاء يجلسون بطبيعتهم روافد الأفكار ، والاشعار ، والفكر التي يعالجونها ، فتنتسب المعاني ، ويأخذ بعضها بزمام بعض .

ولذلك رأى الشاعر جليل سدقي الزهاوي الا يوجه اي لوم الى من اطلال قصيدته ، وجعلها في مطالب مختلفة ، تربط بعضها ببعض مناسبات بينها . وان كانت ضعيفة ، فينتفع القاري او السامع بالوان مختلفة من الادب في القصيدة الواحدة . على ان يكون بين كل مطلب ومطلب فاصل . ويكرر الزهاوي هذا الرأي في قوله : وللشاعر ان يجمع بين بعض قصيدته اكثر من مطلب ، بشرط ان يكون بين مطالبها صلة تربط حلقاتها المتعددة ، واحسب ان هذا اقرب الى طبيعة التفكير او الاحساس . فانها لا ياتيان الا في صورة امواج هي فورات النفس او ثوراتها ، تستقل كل منها عن الاخرى ، وتكون القصيدة حينئذ اشبه بياقة من مختلف الازهار مع تناسق في الوانها . .

ويؤكد الزهاوي هذه الفكرة مرة اخرى ، فيقول ان الشعر في القصيدة انفعالات في الفكر ، كالألوان يعقب بعضها بعضا ، فاستقل الا بغير الشاعر منها الا ما كانت فيه الصلة ضعيفة ، فذلك اقرب الى الطبيعة . .

المقاييس — ولا سيما مقياس الوحدة — لان لكل لون من هذه الألوان طبيعته وخصائصه التي تميزه عن غيره . واذا كان هنالك مجال لتطبيق مقياس الوحدة على الشعر العربي فان هذا المقياس يجد مجاهله الطبيعي في التطبيق على الشعر المسرحي الذي تكون تلك الوحدة العضوية احدى خصائصه ، كما طبقت بمقاييس ارسطو — ومقياس الوحدة بالذات — على الادب المسرحي في سائر الاداب الانسانية .

فقد نقد شوقي في مسرحياته بأنه كان لا يتقيد بنظرية الوحدات الثلاث : وحدة الزمان ، ووحدة المكان ووحدة الموضوع ، وما كان يقال من ان حوادث المسرحية يجب ان تقع كلها في يوم وليلة ، وفي مكان واحد ، وتدور كلها حول موضوع واحد ، وعلى هذه الاسس كانت تؤلف المسرحيات فلما من الشعراء بطل اليونان اتخذوها قواعد لا ينحرفون عنها في صنع مسرحياتهم ، وهو ظن واهم ، لم ينتبه له الفرنسيون طوال القرنين السابع عشر والثامن عشر ، حتى جاء الرومانتيكيون ، ووطن الشعراء الى ان اليونان لم يكونوا يتقيدون بها ، فانفكوا عن وحدتي الزمان والمكان ، كما انفكوا احيانا عن وحدة الموضوع ، ويغريب من ذلك نقد الدكتور محمد مندور هذه المسرحيات في مثل قوله : من المعلوم ان الكلاسيكية قد تعسبت الى حد بعيد في «الوحدات الثلاث» اي وحدة الموضوع والزمان والمكان ، بمعنى الا تحوي المسرحية الا على موضوع واحد ، وان تجري أحداثها جميعا في مكان واحد ، وفي زمن لا يتجاوز اربعاً وعشرين ساعة .

وبمراجعة مسرحيات شوقي نجد انه لم يتقيد بهذه الوحدات . ففي « مصرع كليوباتره » حب اخير بين هيلانة وصيفتها وحابي احد اتباعها . وفي « علي بك الكبير » نجد الى جوار غدر محمد بك ابو الذهب بمسيده قسمة ولع مراد بك بابال ، ثم اكتشف انه اخوته لها .

ونحن لا نزم الخروج على المعنى الضيق لوحدة الموضوع ، فقد اثبت الادب المسرحي الخالد انه لا ضرر من الخروج على المعنى الضيق لهذه الوحدة ، ولكن على شرط ان تكون الموضوعات الثانوية وثيقة الصلة بالموضوع الاصيل ، موضحة لبعض الجوانب النفسية او الاخلاقية لابطال المسرحية ، على نحو ما نجد عند شكسبير مثلا ، حيث تندمج الموضوعات الجانبية في الموضوع الاسلي ، وتكتشف عن جوانب في الشخصيات لا يكشف عنها ذلك الموضوع الاصيل .



- (٤) انظر ( البيان والتبيين ) ٦٨/١ ، ٢٠٦ . وانظر ايضا ( الشعر والشعراء ) ٣٦/١ .
- (٥) الشعر والشعراء ٢١/١ .
- (٦) ابن باباطيا ( عيار الشعر ) ١٢٦ .
- (٧) المقادير ( الديوان ) ١٧/٢ .
- (٨) فن الشعر لرسطو ليلبي : ترجمة الدكتور عبدالرحمن بدوي ٢٦
- (٩) زهر الآداب ١٦٢/٢
- (١٠) دلائل الإعجاز ٧٥ ، ٧٠ .
- (١١) ابن رشيقي ( العمدة ) ١١٢/١
- (١٢) ابن الاثير ( الملل السائر في ادب الكتاب والتساعر ) ٢٠٢/٣ .
- (١٣) فصول في الادب والفن ٥٠ .
- (١٤) تحدث ارسطو عن وحدة الزمان عرضا في موازنته بين اللحمة والماسة فذكر من الفروق بينهما اختلافهما في الطول ، وان الماسة تنحصر الى حصر نفسها قدر السمتاع في زمان بمقداره دورة واحدة حول الشمس او لا تتجاوزة الا قليلا ، اما اللحمة فانها لا تدور بزمان .. اما وحدة المكان ، ومناها ان تجري أحداث الماسة في مكان واحد ، فلم يرد لها ذكر في كتاب الشعر ، وانما قال بها اديب طلياني « ماجي » "Maggi" قياسا على وحدة الزمان . ومن هاتين الوجدتين ووحدة الفعل او الخرافة او وحدة الموضوع تكون ما يسمى بقاتون الوحدات الثلاث - وانظر كتابا والتدريس عند اليونان ١٢٠ - ١٢٨ . وانظر « شوقي شاعر العصر الحديث » ١٩١ .
- (١٥) مسرحيات شوقي ١٧ .
- (١٦) الزهاوي وديوانه المقفود ١٩٠ ، ١٩٦ و ١٩٧ .
- (١٧) الشعر المعاصر على ضوء النقد الحديث ٩٠ .

ولا يفوت الزهاوي ان يعرض لبعض التقاسد الذين يدعون الى التقليد ، ولا ترشيحه تلك الدعوة سواء اكانت دعوة الى تقليد شعراء العرب السابقين ام كانت دعوة لتقليد شعراء الغرب ، فيقول ان من الناقدين من لا يعجبهم الشعر الا اذا كان فيه تقليد لشعراء الغرب او لشعراء العرب السابقين . وليس الشعر كالعالم لمستوى في الاخذ به الاقوام على تفاوت مشاربهم ونزعاتهم ، بل هو الشعور ، تختلف كالموسيقى فيه الالم ، الا اذا كان عابا تتحسس به الانسانية كلها في الشرق والغرب (١٦٠)

وهذا الرأي في الشعر العربي يؤيده الظواهر الجديدة في شعر بعض شعراء الغرب المحدثين التي يبدو فيها عدم اهتمامهم بالوحدة الشعرية ، وهم كما يقول جيلبرت موراي "Gilbert Murray" يرون ان الوحدة لا ضرورة لها ، وانها نوع من العبودية للتقاليد الكلاسيكية ، وان الفن كالحياة ، لا نظام ولا انسجام فيه ما دامت الحياة الحقيقية مزيجا مستطربا من الاشياء ، وكذلك الفن يكون مزيجا مضطربا من الاشياء . (١٧)

دكتور بدوي طهانه

Genung The Working Principles of Reticor. (١)  
P. 141.

- (٢) كتاب الصناعين ٣٦
- (٣) ابن رشيقي ( العمدة ) ١١٢/١ .

## لوحة الغلاف

## نقطة الشمال

## للفنان الكويتي

## خالد القعود



# مِزاد

## الساعة الواحدة



محمد  
فرغند

يا تطلعين من ثمن .

— « ..... » —

— لماذا قمصت في المرة السابقة ؟!

انت تعلين ذلك جيدا .. الم تقراي

ان الاجور ندهورت في الشهر السابق

وان السوق في كساد .. لم يكن لي

من ذنب فيها حدث يا حلوتي ، ولا

اعتقد انك قد تضررت بها حدث ،

فسوفك في رواج ؟!

— « ..... » —

— ابنتا اللعينة ، لا تشبعين من

التهام النقود .. آه لو اعرف اين

تخبين كل هذه الدراهم ، لداعبت

في ليلة باناملي رقبك هذه السنية،

التي تشبه قلبا من الزيد اللذيذ ،

— « ..... » —

— ليسكن الشيطان قبر النور ،

وكيف اجرو على فعل ذلك .. ابعمل

ان افرط بشل هذه الرقبة الجميلة ،

وكيف انجو من غصب البائين ان لعلت

هذا .. هذا ليس مهما .. اشعر

اني سارضي جيبك هذه المرة .. ماذا

جهزت لي ؟!

— « ..... » —

— ماذا ؟! .. يا للسبأ التي تطر

نجوما .. الليلة سمدى .

— « ..... » —

— كم سادع ؟! انتظري قليلا.

انتظري .. هه .. فلتر .. عشرون

دينارا اجار البيت .. عشرون اخرى

قسط السيارة .. ثلاثون للاكل

والسجائر .. جيبيل والبساتي ...

اسمعي !! عشرون دينارا مناسب ؟!

— « ..... » —

— عشرون دينارا قليل ؟! بل

هي كثيرة لليلة واحدة ، و « سنابل »،

و « زجاجة عرق » ! مدينتي تسكر

على نهد لمعوب في ليلة سوداء ..

فيجف العرق على الجبين ، لنظل

بقايه خطوطا من الطين الملح .

وخلف كل الابواب ، يصبح فراغ

الدار متراحما بدخان التبغ .. تلف

فرائته رائحة العسرق الممزقة ،

المفاصل ، وتكثر بين جدرانها

الاسرار !

وهذه حكاية من حكايات مدينتي

الكثيرة .. ومنها في الساعة الاولى ،

من اليوم الاول ، كل شهر الاول ..

اجل هو كذلك ، الزين في الساعة

الاولى ، في اليوم الاول ، في الشهر

الاول ، ان الساعة عكس لا تحرك

تكرر نفسها لتصنع لنا زمنا يساردا

كالجديد ..

— الو .. من « كايلا » .. ارجو

الا اكون قد اقلقت راحتك ؟!

— « ..... » —

— لم استطع صبرا ، فقلت اكلبك .

— « ..... » —

— اجل هو الامر مهم .. ومهم جدا

كيفية الامور التي نتحدث حولها كل

آخر شهر .

— « ..... » —

— هه .. اذن انت غير راضية

عني ، لاني لم اجزل لك العملاء في

الشهر الماضي ؟!

— « ..... » —

— اعلم ذلك .. فانت لا تعطيلني

الا الجيد من بضاعتك .. ولو هذا

السبب مانا لا اتعامل مع غيرك ، وادفع

مدينتي يلها الصقيع .. يغلفها

ببرودته الحادة كقطعة من الحلوى ،

ملفوفة بورقة مفضضة ، تخلفها

بالتمية ..

وشمس مدينتي تسطع كل يوم في

كبد السبأ ، لكنها تغيب في اعين

سكانها .. ولذلك فكل جزء منها

مظلم برغم وجود الشمس !! والك

يشكو من داء المفاصل ، والكل متذير

لان الشمس لا تريد ان تسطع !

مدينتي تلها الاسرار .. تحت كل

حجر سر .. وراء كل باب سر ..

في كل عين سر .. ولذلك لا اعد

نفسى مخطئا او متجنيا ان اطلقت

عليها « مدينة الاسرار » .

مدينتي حزينة .. احجارها

مغموسة في السواد ..

في الساعة الواحدة تومد الابواب

ويتقهقر النور ليصنع من نفسه

حلقات باهجة اللون حول مصابيح

الشوارع .. ليس من المهم ان تكون

الساعة الواحدة « هذه بعد منتصف

الليل ، او بعد الظهر ، فاللحظة في

مدينتي تعيد نفسها ، والزين فيها

يتخيله الغريب كانه واقف لا يتحرك ،

لذلك يصاب سكان مدينتي بساء



نوراني

حارسا ليليا ؟!

— وما شأنى أنا ان كنت كذلك .

هل أنا الذي عينك ، أو هل اخذت

رأى عندما عينك ؟!

— ولكنك باسم القانون يجب ان

تذهب الى بيتك فالمساعة الآن

الواحدة . والبرد شديد جدا .

— انا لا استطيع الذهاب .

— لماذا ؟!

— لاني دفعت ؟!

— ماذا دفعت ؟!

— دفعت عشرين دينارا .

— وهل تدفع عشرين دينارا لتقف

تحت عمود التور في هذا البرد ؟!

— لا ..

— اذًا لماذا بحق الشيطان ؟!

— لاجل هذا الشخص الذي انتظره

ولماذا لا تذهب اليه في بيته ؟!

— هذا غير ممكن .

— وكيف غير ممكن ؟!

— لان ذهابي اليه يعارض مع

القانون . والعرف في هذه المدينة .

— واين يمكن هذا الشخص الذي

تبحثه ؟!

— ربما وجدت لك يد المساعدة .

— هنا في هذه العمارة التي امامك .

— هل تعرف اسمه ؟

— اجل .

— ما اسمه ؟.

— سنابل .

— من الافضل لك ان تذهب ، ولا

تتعب نفسك في مثل هذا الوقت .

— وكيف ذلك ؟!

— لان الشرطة اعتقلتها في الساعة

الواحدة .

— مدينتي حزينة .. حزينة في كل

شيء .. وسكانها يكشطون الملح

الفاسد من جباههم ، ويغتسلون

بسواد الليل . لان الشمس لا تشرق

في عيونهم ولذلك تتزاحم تحت

حجارتها الاسرار ، ويخفق سكانها

داء المفاصل .

حميد خزل

الخارجة من الامواء اللاهنة . كلهات

كلاب مدينتي خلف عظمة مربوطة

بخيطة قدر ، يجري بها الاطفال ..

وتتدافع الكؤوس . والزجاجات

يجنون . فتنطفي اسوانها على ناهات

البغايا .. ونحجب القبل المحرقة

بجلد الاجساد العارية !

ويمسح الظلام الجدران بلونه

الاسود .. وتشعر بالاخفاق .

والرغبة في التقيؤ .. ولن تغلب

على ذلك الا بعد ان تنقع اعصابك في

كأس من العسرق الملتهب ، وتغل

ترقبها وهي تذوب . وتتلاشى شيئا

فشيئا بخلة فوق السطح فتاتبع

بيضاء صغيرة . تموت في اللحظة

من شدة البرد .

كل سكان مدينتي يشربون حتى

النبالة . ويترنحون مع الاسرار ..

وكل من في سوق مدينتي لا يبيع سوى

شبهين .. « سنابل » و « زجاجة من

العرق » !! وسكان مدينتي يدفعون

بمسائل « سنابل وزجاجة العرق »

ملحسا غادا يكشطونه من جباههم

المعروقة .

مدينتي يلها الصقيع . كشمس

بلا حرارة . وكل سكانها اسرار مغلقة

بورق فضض يعكس عنها ضوء

الشمس . فيصيفها بطعم البرد .

\*\*\*

— مساء الخير يا سيدي .. ما لي

اراك واقفا هنا تحت عمود التور ..

اليس لديك منزل بؤيوك ؟!

— لدي منزل يا ويني يا سيدي .

ولكنني انتظر شخصا ..

— ولكن الوقت هنا هكذا ممنوع

.. وينبغي عرف المدينة .

— ولكني ارجب في الوقوف لاني

انتظر شخصا . وفي هذه الحالة

غانا لا اخرق المصرف ولا اكسر

الممنوع ..

— ولكنك يجب ان تذهب الى البيت

— وما شأنك انت في هذا ؟!

— ما شأنى ؟! .. ولماذا عينت